حركات الإسلام السياسي

والجذور العقدية للتطرف

إشكالات نظرية و مقاربات مستقبلية

بقلم / د عادل بن غزيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
	إهداء	8
	مقدمة الكاتب	10
	تمهيد	12
الفصل الأول	الإطار النظري لظاهرة التطرف	16
1.1	مفهوم التطرف	17
1.1.1	التعريف اللغوي للتطرف	17
2.1.1	التعريف الإصطلاحي للتطرف	19
2.1	الإتجاه نحو التطرف في ضوء النظريات النفسية	23
1.2.1	التعريف النفسي للتطرف	23
2.2.1	نظرية التحليل النفسي	26
3.2.1	نظرية الإحباط والعدوان	30
3.1	التطرف في ضوء النظريات المعرفية	34
4.1	المدخل السوسيولوجي التطرف كظاهرة إجتماعية	35
1.4.1	الفجوة بين الأجيال (صراع الأجيال)	36
2.4.1	البنائية الوظيفية	36
5.1	أشكال (أنواع)التطرف	38
1.5.1	التطرف الديني	38
2.5.1	التطرف اللاديني (العلماني)	42
3.5.1	التطرف الإجتماعي	46
4.5.1	التطرف الفكري	47
5.5.1	التطرف السياسي	51
1.5.5.1	اليمين المتطرف	51
2.5.5.1	اليسار المتطرف	54
3.5.5.1	التطرف السياسي الديني	55
6.1	العلاقة بين الاتجاه نحو التطرف والعنف	58
1.6.1	بعض التوجهات التي تفسر ارتباط العنف بالتطرف	60
2.6.1	العوامل التي تؤدي إلى الإرتباط بين التطرف و العنف	61
7.1	الإرهاب وأشكاله	63
1.7.1	الإرهاب بحسب القائم به	63
1.1.7.1	إرهاب الدولة	64
2.1.7.1	إرهاب الأفراد والمجموعات	65
2.7.1	أشكال الإرهاب بحسب الهدف	65

1.2.7.1	الإرهاب الأيديولوجي	65
2.2.7.1	الإرهاب الإنفصالي	66
3.7.1	أشكال الإرهاب بحسب نطاقه	67
1.3.7.1	الإرهاب المحلي	67
2.3.7.1	الإرهاب الإقليمي	67
3.3.7.1	الإرهاب الدولي	68
الفصل الثاني	حركات الإسلام السياسي و ظاهرة التطرف	70
1.2	الحركات الإسلامية تعريفها و أسباب ظهورها	71
2.2	الشروط التي بموجبها يمكن أن نطلق على تجمع دعوي تسمية حركة إسلامية	74
1.2.2	الصفة العملية	75
2.2.2	الصفة الشعبية	75
3.2.2	خاصية التنظيم	75
4.2.2	العرض الشمولي للإسلام	76
5.2.2	السعي إلى امتلاك السلطة لتطبيق الإسلام	76
3.2	خريطة الحركات الإسلامية و ماهية سماتها المشتركة	79
1.3.2	الصنف الأول	80
أ	الحركات السلمية الساعية للحكم	80
ب	حركات التحرر الوطني المسلحة	81
2.3.2	التصنيف الثاني	81
أ	التيار التقليدي	81
ب	التيار المذهبي	81
ج	التيار الجماهيري، الإيديولوجي	81
د	تيارالرفض	81
ه	التيار العقلاني	81
3.3.2	التصنيف الثالث	82
أ	المدارس السلفية الحديثة	82
ب	المدارس الإصلاحية	82
ج	المدارس القرآنية	82
4.3.2	التصنيف الرابع	82
أ	النوع الأول	82
ب	النوع الثاني	82
ج	النوع الثالث	82
5.3.2	التصنيف الخامس	83
أ	الحركات الإسلامية السياسية	83
ب	الحركات الاسلامية السلفية	84
ج	الحركات الجهادية الثورية	84

4.2	الحركات الإسلامية والعمل السياسي بين الإعتدال و التطرف	86
1.4.2	الحركات الإسلامية التي تجوز العمل السياسي	87
أ	وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	87
ب	يوسف عليه السلام طلب الإمارة	90
ج	وجوب الدعوة الى الله	91
د	عدم جواز فصل الدين عن السياسة	91
ه	وجوب معرفة الأمة لمن تولى أمرها وإختيارها للأصلح	91
و	حق الأمة في إختيار حاكمها في الإسلام بمافيه النواب	92
ز	صعوبة عودة البيعة وتطبيق الديمقراطية المباشرة في العصر الحديث	92
2.4.2	الحركات الإسلامية التي ترفض وتنبذ العمل السياسي	93
أ	يقوم العمل السياسي على وجود أحزاب تتنافس فيما بينها للوصول إلى السلطة	93
ب	العمل السياسي أصلا يقوم على الحرص على المسؤولية وطلبها	93
ج	العمل السياسي يؤدي إلى العمل الدموي	94
د	العمل السياسي يؤدي إلى الإقرار بحق العلمانيين والشيوعيين	94
ه	يضم البرلمان نوابا يتطاولون على آيات الله ويستهزؤون بها	94
و	في المشاركة السياسية تجاوزات على الحكام	95
ز	تعرض العضو للقسم على احترام الدستور الوضعي	95
5.2	الجذور التاريخية للحركات المتطرفة	96
1.5.2	الخوارج	96
2.5.2	الباطنية	97
الفصل الثالث	الجذور العقدية و الفكرية للحركات الإسلامية المتطرفة	100
3	الجذور العقدية لظاهرة التطرف عند الحركات الإسلامية المتطرفة	101
1.3	الأسس التأصيلية لقضايا العقيدة والايمان	102
1.1.3	إساءة استعمال النص الديني	102
2.1.3	المبالغة في استعمال مفهومي الولاء و البراء	106
2.3	إعادة إحياء مفهوم الجهاد الهجومي	110

1.2.3	الجهاد القتالي في الإسلام	110
2.2.3	الجهاد القتالي في فكر الجماعات المتطرفة	113
3.2.3	الخلفية العقدية للجماعات الجهادية واستخدام السلاح الرمزي	117
3.3	منظومة الآراء العقدية في تطبيق أحكام الشريعة عند الحركات الإسلامية المتطرفة	118
1.3.3	التكفير	118
2.3.1.3	الكفر البواح	121
3.3.3	الكفر بالطاغوت	123
4.3.3	الجاهلية	124
5.3.3	الحاكمية	126
4.3	الأصولية في فكر الحركات الإسلامية المتطرفة	131
1.4.3	التوجه الأصولي الإسلامي	131
2.4.3	الخطاب الأصولي الجهادي	133
الفصل الرابع	كيف نخرج من هذه الدوامة؟ فهم حلول و توصيات...	135
1.4	فهم وتحليل	136
2.4	حلول و توصيات	141
خاتمة	خاتمة	157

إهداء

أهدي هذا الكتاب للذي كان لي في الصغر ذخرا، وفي الكبر سندا، وفي حياتي ملهما، إلى العزيز الغالي، إلى من رباني وعلمني إلى والدي الحبيب.

ثم للتي ووري جسدها الثرى لكن روحها مازالت بأحشائي، إلى التي سقاني عطفها وحنانها، إلى التي سهرت الليالي وضحت بالنفيس و الغالي، إلى التي تحت قدميها الجنان، إلى التي رحلت قبل الأوان وتركت الفؤاد عطشان، إلى حبي الأول، إلى امرأة حياتي الغالية، إلى أمي رحمها الله رحمة واسعة.

دون أن أنسى رفيقة الدرب منية القلب والإخوان و الأولاد والأهل و الأصحاب، إلى كل من ساندني في مسيري، إلى من شد ولو بكلمة طيبة عضدي، إلى كل من قرأ كتابي فأفاد واستفاد، ودعى لي بظهر الغيب أن يلهمني الله الصواب، ويجعلني ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصل اللهم وسلم على خير من وطأت قدماه الثرى وآله وصحبه وأزواجه ومن سعى سعيه و استن بسنته إلى يوم الدين إنك ولي ذلك وقادر عليه.

مقدمة الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الورى المصطفى الأمين نور الهدى وسيد العالمين محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وعلينا معهم إنه قريب كريم مجيب الدعوات.

أما بعد فقد حل ماحل بأمتنا وتكالبت عليها الأمم من بعيد يكيد لها المكائد و ينصب لها المصائد، وقريب شوه صورة عقيدتها بين النِّحل و العقائد.

فقيل أن الإسلام دين التطرف و أن سلامه ليس إلا عنف.

كيف تتكلمون عن الإصلاح؟ و دينكم يسلب الأرواح، دينكم دين داعش و النصرة، دينكم منافٍ للفطرة.

فاهتزت بدا خلي المشاعر وقلت إن الأمر جلل، و يستحق منا تظافر الجهود لتبيين الفرق بين تلك الحركات، من نزح منها إلى السلم ومن جلب علينا بفكره الويلات، ووجهُ التطرف في المقاربات و النظريات لعلنا، بشيء من التأصيل و التفصيل نبين ماشذ من تلك الأفكار بالغوص في تلك الأغوار، وتمحيص الصحيح من السقيم، لكي نصل إلى تقييم دون تحيز والتزام الحياد، علنا ننجح في ذلك ونحظى برضا رب العباد.

تمهيد

عرفت البشرية على مر عصورها صورا من العنف، واختلفت أطرافه وظروفه حسب المجتمعات التي ظهر فيها، أما ما تتعرض له في الوقت الحاضر فقد فاق كل تصور، حيث أصبح التطرف العنيف هاجسا يقلق الإنسان ويفقده راحته في كل زمان ومكان، سواء كان في طائرة، أو كان في الشارع ، أو حتى في منزله، فهو يمكن أن يطال الإنسان الذي لا علاقة له إطلاقا بالقضايا التي يتبناها هؤلاء المتطرفون. لقد نجحت الأنشطة الإرهابية في تحقيق أهدافها، مشكلة بذلك خطرا حقيقيا على أمن الدول واستقرارها، وعلى مصالحها الحيوية ، ومما زاد في خطورة الظاهرة أن الإرهابي ينطلق في تحقيق أهدافه المتباينة من أفكار تحمل مضامينها الغاية تبرر الوسيلة، وهي أفكار هدامة لكل تقدم في المجتمع، تخلف العديد من الآثار السلبية على القطاعات والمؤسسات بمختلف مستوياتها، كالمنشآت القاعدية والمؤسسات الإدارية وغيرها.

لكن و بالرغم من أننا نلاحظ تزايدا مطردا في الإهتمام الأكاديمي والإعلامي والسياسي بالظاهرة الإسلامية خلال الأعوام الأخيرة، إلا أن هذا الإهتمام الغير مسبوق لم تترافق معه محاولات تسعى للتعرف علي أبرز مكونات تلك الظاهرة وأكثرها إثارة للجدل، أي الحركات الإسلامية، بصورة تتفق وما يسعى إليه البحث والتحليل العلمي، أي التوصل لأدق تعريفات ممكنة لها وتصنيفات لفئاتها وأنواعها بما يمكن من دراساتها بأكبر قدر ممكن من الموضوعية والحياد العلمي. وظل الإهتمام البحثي والإعلامي والسياسي بتلك الحركات الإسلامية ذات العلاقة بالسياسة بتعريفها الواسع منصبا عليها بصورة فردية وجزئية أو بصورة يشوبها التعميم، بحيث بدت في النهاية وكأنها تأخذ أحد شكلين: إما أنها حركات وجماعات منفصلة عن بعضها البعض ولا توجد بينها علاقات أو خصائص مشتركة، أو أنها تتسم بنفس الخصائص العملية والأفكار النظرية بما يضعها جميعا ضمن كثلة صماء هي «الحركات الإرهابية العنيفة»، والواقع أنه يصعب تصنيف أو حصر الحركات الإسلامية تحت لواء واحد، أو جمعها في واجهة واحدة بسبب الإختلاف في الرؤى حول أولويات العمل وطرقه.

نزوع كثير من هذه الحركات إلى العنف و العمل المسلح رافقته حركة فكرية تطرفية وجدت في الإرث التاريخي الإسلامي بيئة قابلة للتأويل ولي أعناق النصوص لمواءمتها و الطابع الإجرامي الذي نهجته بعض هذه الحركات. لذلك فسوف نتطرق إلى دراسة تحليلية لظاهرة التطرف و أبعادها النفسية الإجتماعية والتاريخية، فظاهرة التطرف ظاهرة عالمية تشمل العالم بأجمعه لا تقتصر على قطر دون آخر ولا دين أو مذهب دون غيره ومن ثم فإن محاولة تشخيصها وعلاجها علي أساس من الظروف المحلية فقط يفضي إلي خطأ في التشخيص من ناحية وخلل في العلاج من ناحية أخرى، فلم يظهر دين أو مذهب أو نظام إلا و كان من بين أعضائه أو أنصاره متطرفون ومعتدلون، وتقع الخطورة في التطرف في القاعدة الفكرية والإقتصادية التي ينطلق منها، كذلك درجة اتساعها ومدى التعاطف والتشجيع الذي يلقاه هؤلاء المتطرفون في بداية نشاطهم، باعتبارهم مظهرا من مظاهر الإنبعاث الديني أو الصحوة الدينية. وفي كثير من الأحيان فإن مداخل التطرف والشطط ومظاهر العلاج والإنحراف في المنهج والأفكار وكذا أسلوب بعضهم من الدعوة وأسلوب العمل، يجعل من الصعوبة بمكان أن نحيط بحيثياته ونتصدى له بطريقة فعالة. وأخيرا فإن هذه الظاهرة لها أبعادها الإجتماعية والسياسية والدينية والنفسية فهي ظاهرة مركبة. ومن ثم لا ينبغي أن يكون تشخيصها وعلاجها منحصرا في إطار منظور واحد فقط مهما بدت له من أهمية واعتبار. ومما لاشك فيه فإن قضية التطرف التي يعيشها مجتمعنا اليوم ليست وليدة الساعة، بل تضرب بأطنابها إلى أعماق الستينيات فترة التغييرات الثورية، حينما اصطدم المجتمع التقليدي بقضايا الحداثة الفكرية والإقتصادية والعلمية والشرعية، هذا الإصطدام لم يكن يتوخى التؤدة أوالتدرج إنما أحدث هزة لا نزال نعيش ردة فعلها يوما بعد يوم، يتمثل بعضها في تجارب الأيدلوجيات الزائفة أو التي زيفها التاريخ والتي أحدثت شرخاً في الخطاب العربي الإسلامي وإنقسامات في الأمة، وباتت الأزمة في بداية المسيرة الثورية بين

المذاهب الوافدة التي تحاول الأمة التخلص منها وبين السلام الذي تحاول الأمة طلبه. أما الأعضاء الذين ينتمون إلى هذه التنظيمات و الذين يتصفون فيما بعد بالتطرف فأغلبهم من الشباب الحائر الذ ي يبحث عن بديل يحقق له الراحة النفسية في مستقبل أفضل ، وفي المقابل جموع الشباب الذ ي وجد البديل التطرفي في الإنحلال الخلقي والمخدرات والجري وراء الفكر العلماني والتغرب. فنجد جماعات التنظيم الديني تحاول تقويم التراث الديني كمحدد للهوية الشخصية، دافعاً للسيطرة على مقاليد القوة في المجتمع وناقدا للوعي الكاذب الذ ي تفرضه الإتجاهات العلمانية والإلحادية في المجتمع. فانتماء هؤلاء الشباب لهذ ه التنظيمات يحقق ما يفتقده أو يبحث عنه هؤلاء الشباب من انتماء وعلاقات بديلة افتقدوها في أسرهم ومجتمعاتهم. إن إصابة الشباب بمزيد من الإحباط الذي يدفعه إلى أحد خيارين إما الإعتزال السلبي أو اللجوء إلى الفكر المتطرف والمنحرف بجميع ألوانه ودرجاته، راجع لكونهم حين يتعاملون مع واقعهم لا يجدون فيه صدى لهذه الشعارات البراقة والكلمات الحماسية. يجب معاملة المتطرف معاملة المريض النفسي وليس معاملة المجرم، بتقديم العلاج له على أسس علمية وإرشادية تربوية ونفسية ودينية، وليس على أساس العقاب الصارم أو المبالغة في القسوة والعنف.

لقد قمت بتقسيم هذا هذا الكتاب إلى أربعة فصول كبرى أولها الإطار النظري العام لفهم ظاهرة التطرف بين أبعاده النفسية والفكرية والإجتماعية، قبل أن نعرج في الفصل الثاني على الحركات الإسلامية التي نحت منحى متطرفا لنعرف أشكالها تصنيفاتها ومواقفها من العمل الديموقراطي و، أما في الفصل الثالث فخصصته للمنظومة الفكرية و العقدية لتلك الحركات و انتهيت في الفصل الرابع بمحاولة متواضعة لفهم وتحليل هذه الظاهرة قبل اقتراح بعض السبل التي من شأنها التخفيف من حدة هذا المرض، محاصرته ولم لا في يوم من الأيام علاجه.

الفصل الأول

(الإطار النظري لظاهرة التطرف)

1.1 مفهوم التطرف

تجدر الإشارة إلى أن مفهوم التطرف من المفاهيم التي من الصعب تحديد معنى دقيق لها، أو إطلاق تعميمات بشأنها نظرا لإرتباط المعنى اللغوي للتطرف مع تجاوز حد الإعتدال ، وحد الإعتدال نسبي يختلف باختلاف النسق القيمي السائد في كل مجتمع، فما يعتبره مجتمع من المجتمعات تطرفا من الممكن أن يكون مألوفا في مجتمع آخر، فالإعتدال والتطرف مرهونان بالمتغيرات والمعايير البيئية والحضارية والتاريخية والثقافية والدينية والسياسية التي يمر بها المجتمع ، كما قد يتفاوت حد الإعتدال والتطرف من زمن لآخر، فما كان يعد تطرفا في الماضي قد لا يكون كذلك في الوقت الحاضر[1] والعكس صحيح. وتنتمي ظاهرة التطرف إلى الكثير من العلوم الإنسانية، كعلم الإجتماع، وعلم النفس، و الأنثروبولوجيا، لذا إختلفت الإتجاهات بين العلماء في وضع معايير ومحكات محددة لماهية التطرف[2]

1.1.1 :التعريف اللغوي للتطرف:

قال ابن فارس : (طرف) الطاء والراء والفاء أصلان: فالأول يدل على حد الشيء وحَرفهِ، والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء. طرَّفَ يتطرَّف تطرُّفًا فهو متطرف والمفعول متطرِّف. ويقال ناقةٌ طَرِفَة: ترعى أطراف المرعى ولا تختلط بالنُّوق. وأما الأصل الآخر فالطَّرْف، وهو تحريك الجفون في النظر. هذا هو الأصل ثم يسمون العين الطرف مجازا. ومجمل كلام ابن فارس أن لكلمة التطرف معنيان ، **الأول:** الحركة في بعض الأعضاء، **الثاني:** حد الشيء وحرفه. ويقال تطرَّفت الشمس إذا دنت إلى الغروب.

---

1 جلال سليمان بيومي (1993): التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي الإجتماعي لدى الشباب، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الأزهر.

2 هشام إبراهيم عبد الله (1996): الإتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجة للأمن النفسي لدى عينة من العاملين وغير العاملين ، مجلة الإرشاد النفسي،ص 28 العدد الخامس، مركز الإرشاد النفسي، ص ص 83. 21.

قال الجصاص :" طَرَف الشَّيْءِ إمَّا أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءهُ أَوْ نِهَايَتهُ وَآخِرهُ وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَا قَرُبَ مِنْ الْوَسَطِ طَرَفًا "، فالتطرف في اللُّغَةِ يعني :الوقوف في الطرف، بعيدًا عن الوسط، وأصله في الحسيات، كالتطرف في الوقوف أوالجلوس أوالمشي، ثم نقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكرأوالسلوك، ومن لوازم التطرف أنه أقرب إلى المهلكةِ وأبعد عن الحمايةِ والأمانِ وفي هذا قال الشاعر: كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرف. ويقال: طرف الرجل حول العسكر وحول القوم، يقال: طرف فلان إذا قاتل حول العسكر لأنه يحمل على طرف منهم فيردهم إلى الجمهور. وقال متمم: "وقد علمت أولى المغيرة أننا نطرف خلف الموقصات السوابقا".[3]

وقوله تعالى: "وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ "[4] قال الزجاج: أطراف النهار الظهر والعصر، وقال ابن الكلبي: أطراف النهار ساعاته. ويقال فلان طريف النسب، والطرافة فيه بينة، وذلك إذا كان كثير الآباء إلى الجد الأكبر، وفي الحديث: فمال طرف من المشركين على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أي قطعة منهم وجانب[5]، ومنه قوله تعالى: " لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ".[6] ويعرفه قاموس Webster بين مصطلحي التطرفية ويعني الميل للذهاب إلى الأطراف وتعني التكلفة الزائدة عن الحد، والغلو والإفراط غير المنضبط أو الغريب في الأفعال والآراء.[7]

۞ ۞ ۞

3 لسان العرب ، ابن منظور ء ج 9 ، الصفحة 217.

4 سورة طه آية 130

5 المصدر نفسه الصفحة 218.

6 سورة آل عمران آية 127

7 Webster (1984): Webster's New Dictionary of Synonyms, Merriam Webster, Inc, Publishers

2.1.1 التعريف الإصطلاحي للتطرف:

يعرف غالبا مصطلح التطرف بأنه **:** الغلو في عقيدة أو فكر أو مذهب أو غيره مما يختص به جماعة أو حزب، وينظر إلى التطرف بأنه إحساس المرء بأنه يمتلك كل الحقيقة، مما يخلق عنده قناعة تامة بصواب ما عنده وخطأ ما عند الآخرين، مما يدفعه إلى التصرف في إتجاه تصويب الآخرين وإقناعهم بوجهة نظره. ويحدده **عزت سيد إسماعيل** بأنه " صيغة من صيغ التعصب مع نوع من المغالاة في الإتجاهات التي يعتنقها المتطرف مصحوبة بشحنات إنفعالية حادة يمكن أنْ تستثير في ظروف خاصة سلوكًا عدوانيًا عنيفًا "[8] وتعرفه **أمينة الجندي** بأنه " الإفراط والغلو والتشدد والتزمت، سواء في الفكر أو السلوك أو كليهما، ومن ثم فالتطرف هو مجاوزة حد الإعتدال مع الإفراط ، بمعنى تجاوز الأُطر الفكرية أو المعايير السلوكية المقبولة في المجتمع"[9] ويعرفه **محمد أحمد عبدالخالق** بأنه **:** "ميل أو إنحراف سلوكي تدميري، تحرف فيه المبادئ ، وتعطى قيمًا عكسية تتمثل في محو الآخر ، ولعل هذا هو ما أُشير إليه على أنه السلوك الشاذ أو الخروج عن التوسط والإعتدال ".[10] ويعرف " **عاطف أحمد فؤاد** " التطرف من المنظور النفسي والإجتماعي ، بأنه " إنتهاك للقيم الإجتماعية والسياسية القائمة ،ويتدرج هذا الإنتهاك من مجرد الخروج عن الفكر والأيدلوجية السائدة ، إلى صورة أكثر تجسيدًا كما في أعمال العنف التي تمارسها الجماعات المتطرفة "[11] ويعرفه " **سمير أحمد نعيم** " بأنه " أسلوب مغلق في التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها ، ويتسم

8 سيكولوجيا الارهاب وجرائم العنف،عزت السيد اسماعيل، منشورات ذات السلاسل، الكويت 1988.

9 الوزيرة السابقة أمينة الجندي حصلت على ماجستير في التخطيط الاجتماعي درست فيها ظاهرة التطرف بين الشباب، ودكتوراه في علم الاجتماع من جامعة الاسكندرية.

10 الشيخ بوركبة: باحث في القانون العام،رئيس جمعية مثقفون من أجل الديمقراطية والتنمية، " دور الأحزاب السياسية والمجتمع المدني في محاربة التطرف الفكري " ،العيون الآن 20 ديسمبر 2018.

11 معنى التطرف بقلم الباحث /محمد سعيد أبوالنصر، مجلة مرافئ الفيحاء. 24 نونبر 2017.

هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على أن المعتقد صادق صدقًا مطلقًا وأبديًا ، يصلح لكل زمان ومكان ، لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه ، على إدانة كل إختلاف عن المعتقد، وفرض المعتقد على الآخرين بالقوة والرجوع إلى المعتقد عند تفسير أي قضية في الكون، ومواجهة الإختلاف في الرأي أو التفسير بالعنف "[12] في حين يعرفه **جلال محمد سليمان** بأنه " تحول في الشخصية يعبر عن الرفض والإستياء تجاه ما هو قائم بالفعل في المجتمع، وهناك مجموعة من الخصائص المميزة لشخصية المتطرف مثل السيطرة والمغايرة وضعف الأنا، مما تدفعه إلى أساليب متطرفة في السلوك "[13] أما **مصطفى عمر البتر** فيراه " حالة من التشبث بالرأي الخاص ومعارضة الحوار والنقاش مع أيدلوجيات يؤمن بصدقها إيمانًا مطلقًا ولا يسمح بالتشكيك فيها ويعمد إلى تفسير الظواهر و الأحداث في ضوء الأيدلوجية المسيطرة "[14] أما **خالد إبراهيم الفخراني** فيرى أنه " إنتهاك القيم الإجتماعية والسياسية للمجتمع بالخروج عنها ، وهو أحد مظاهر إضطرابات الشخصية التي تكون ناتجة عن الضغوط والصراعات النفسية التي يتعرض لها المتطرف خلال حياته"[15] وتؤكد " **أسماء فاروق محمود** " على أن التطرف هو " أسلوب مغلق في التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أي معتقدات أو آراء تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة المتطرفة".[16] كما يشير **لارسون** " LARRSON " إلى أن المتطرف " يرفض ما هو قائم في المجتمع وينتهج مجموعة من الأساليب المتطرفة في السلوك

12 سمير نعيم احمد (1990): محددات التطرف الديني في مصر، مجلة المستقبل العربي، العدد .131

13 الأمن الفكري ودوره في مواجهة ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتحديات» في الفترة من 22 -25 جماد الأول 1430هـ كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

14 الباحث /محمد سعيد أبوالنصر، أمة واحدة ضد التطرف، كنوز الشرق الأدبية.

15 المصدر نفسه.

16 حسام عبد الحسين، سايكولوجيا التطرف الديني، الخميس ميدل إيست أون لاين 2018/01/04 .

كالتعصب والتصلب والجمود الفكري والنفور من الآخرين".[17] واتجه **بلودر** " BLODER" إلى تعريف التطرف بأنه " اتخاذ الفرد موقفًا متشددًا يتسم بالقطيعة في " إ ستجاباته للمواقف الإجتماعية التي تهمه والموجودة في بيئته التي يعيش فيها ، وقد يكون التطرف **إيجابيًا** في القبول التام أو **سلبيًا** في إتجاه الرفض التام ، ويقع حد الإعتدال في منتصف المسافة فيما بينهما ".[18] ويعرفه **محمد السماك** بقوله **:** "التطرف حالة فكرية إلغائية للآخر المختلف "( ) "فالتطرف تجاوز الإعتدال، ومفهوم الإعتدال نسبي، وغير محدد ،فما يعده مجتمعا ما ضربا من الاعتدال قد لا يعده مجتمعه آخر اعتدالا. فكثير من الأنبياء في عصورهم والفلاسفة والعلماء والمبتكرين في مجتمعاتهم كان ينظر إليهم على أنهم متطرفون ، وكان السبب في ذلك إستباقهم لتلك العصور وهذه المجتمعات" .[19]

وعرف **سعد الدين إبراهيم** التطرف في أبسط معانيه بأنه " هو الخروج عن الوسط أو البعد عن الإعتدال أو إتباع طرق في التفكير والشعور غير معتادة لمعظم الناس في المجتمع ، و أنه خروج عن القواعد والأطر الفكرية والدستورية والقانونية التي يرتضيها المجتمع والتي يسمح في ظلها بالإختلاف والحوار".[20] وفي ميدان **علم الإجتماع** تستخدم كلمة التطرف "Dogmatism" لتشير إلى حالة الجمود العقائدي أو الإنغلاق الفكري ومن ثم يكون التطرف بهذا المعنى أسلوباً مغلقاً للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أ ي معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح

17 التطرُّف والوسطية ... التناقض والمعالم، دراسة تحليلة مقارنة، المهندس حسين الخفاجي، مركز المنهج الوسطي، 4 يونيو 2018

18 د. ياسر الخواجة، تجديد الخطاب الدينى فى إطار المشهد التاريخي ومواجهة الأخرالغربى، نيوبوك للنشر والتوزيع 2017 ص 97.

19 الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة، إعداد محمد محمود محمد أبو دوابة رسالة درجة الماجستير في التربية، جامعة الأزهر، غزة.

20 سعد الدين إبراهيم .مصر تراجع نفسها، ط (1) ، القاهرة: دار المستقبل. 1983: 15-21 .

معهـا، وينظر هذا النمط من التفكير المنغلق إلى المعتقد على أنه : صادق أبدي مطلق، صالح لكل زمان ومكان، غير قابل للمناقشة أو البحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه، وبذلك تكـون الجماعـة المتطرفـة "Dogmatic" تميل إلـي إدانـة كل إختلاف عن المعتقد الـذي تعتقده ، الإستعداد لمواجهـة الإختلاف فـي الـرأي أو حـتى فـي التفسـير بـالعنف وفرض المعتقد على الآخرين بالقوة. [21] ويري سعد المغربي أن " التطرف والمتطرفين ليس بالتسمية الصحيحة ، ذلك أن التطرف مفهوم إحصائي يعني تجاوز الوسط أو البعد عن الوسطية وليس من الـلازم أن ينطوي هذا التجـاوز فـي كل أمر أو كل حالـة علـي خصائص سلبية ". [22]

۞ ۞ ۞

21 سمير نعيم أحمد 1990 .المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الـديني ، حالـة مصر، المستقبل العربي، ع 13،يناير. ص 112 - 111.

22 سعد المغربي 1993 .أكثر من ن داء لمواجهة الإرهاب ، جريـدة الأهـرام ، ع 7-4 ، ص 10 القاهرة.

2.1 الإتجاه نحو التطرف في ضوء النظريات النفسية

1.2.1 التعريف النفسي للتطرف:

إتجهت التعريفات النفسية للتطرف إلى وجهتين: الأولى تناولت التطرف كأسلوب للإستجابة التي تنحرف سلبا أو إيجابا عن المتوسط، أما الثانية فتناولت التطرف كمعنى ومفهوم. أما تعريف "الشخصية المتطرفة" فتعرف "الشخصية المتطرفة": بأنها شخصية تتسم ببنية نفسية خاصة تميزها عن غيرها باتسامها بدرجة عالية من التعصب والتصلب، وضعف الأنا والمغايرة، والسيطرة، والجمود الفكري، والنفور من الغموض ، فهي جميعا مجتمعة تسهم في تحديد خصائص تلك الشخصية المتطرفة وهذ ه الخصائص تعد خروجا عما أقرته أيدلوجية وثقافة المجتمع. [23] و يشير لفظ "المتطرف" إلي الحماسة الزائدة للعقيدة الدينية ويتجاوز هذا المعنى ويمتد ليشمل التطرف العقائدي بصفة عامة ، حيث تجد أن المعتقدات التي تسيطر على المتطرف، هي أساس محور حياته بحيث يتم إهمال ما عداها وتجاهله.[24] وعرف هشام عبد الله الشخص المتطرف بأنه " ذلك الشخص الذ ي تتسم إعتقاداته وإنفعالاته وأنماط سلوكه بالتشدد والمغالاة وتجاوز حد الإعتدال والوسطية ". [25]

ويعتبر مصطفى سويف من أوائل العلماء الذين اهتموا بدراسة التطرف، وذلك من منظور التطرف في الإستجابة، يقول سويف : أنه "خلال السنوات من 1949 ـ 1953 بدأ إنشغالي بظاهرة الإستجابات المتطرفة لإتخاذها أساسا لقياس التوتر النفسي، وكان الإطار الذي يكتنف تفكيري في هذا الفرض الأساسي يمضى على النحو الآتي :

23 جلال محمد سليمان 1993 .التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي الاجتماعي لدى الشباب. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الازهر. ص 74-75.

24 سعيد طه محمود وسعيد محمود مرسى 2001 .الأبعاد الاجتماعية والتربوية لظاهرة التطرف والعنف في المجتمع المصري "دراسة تحليلية نقدية "ص 5. مجلة كلية التربية، الزقازيق، ع 38 ،(ص 1 : 50).

25 كمال أحمد النشاوى 2000 . دراسة لأبعاد ظاهرة التطرف لدى طلاب الجامعة ، مجلة كلية التربية، ص 82، ع 22 ،جامعة المنصورة، (ص 80 -103).

أن إرتقاء الشخصية من الطفولة المبكرة نحو مستويات النضوج المتوالية إنما ينطوي على مقومات ثلاثة:

أولها: إزدياد ثراء السلوك (نتيجة لتغاير الوظائف السيكولوجية مع النمو).
وثانيها: إزدياد ثراء البيئة السلوكية (مزيد من التغاير في إدراك الشخص لمكونات البيئة، وحدوث زيادة فعلية في عناصر هذه البيئة مع تقدم العمر).
وثالثها: الإستراتيجية التي يتحتم على الشخص أن ينميها تزداد تعقدا لإنجاز عمليات التوافق التي تنمو مع إطراد الارتقاء.

والمرونة أو التصلب أحد الأبعاد الأساسية البالغة الأهمية في تقرير مدى كفاءة هذه الإستراتيجية المشارإليها في تحقيق أفضل توافق ممكن. وأن سمة المرونة هذه تتناسب عكسيا مع مستوى التوتر النفسي الذي يعانى منه الشخص. بهذا يكون مصطفى سويف قد توصل إلى أن الإستجابات المتطرفة الإيجابية هي دليل على مستوى أعلى من التوتر النفسي، في حين أن الإستجابات المتطرفة السلبية هي قياس لقوة الأنا وقدرته على المقاومة. والتصلب يمكن أن يكون دفاعا ضد القلق ، فعندما نشعر بالتوتر ننمي مجموعة من الأفكار والسلوكيات المتسمة بالتصلب والتي تكون قناعا يحمى الضعف الذي نشعر به داخلنا. ومعظمنا لديه بعض التصلب وبعض المرونة".[26] كما ترى هولنجورث Hollingsworth أن الشخص الناضج يكون قادرا على أن يتدرج في إستجابته الوجدانية، وأنه يستطيع أن يفرح بدرجات ويغضب بدرجات، ويُسَر ويحزن بدرجات أيضا، وذلك في مقابل الشخص غير الناضج الذي تصدر عنه إستجاباته بطريقة الكل أو اللاشيء، ذاك يتحرك من طرف إلى الطرف الآخر بالتدريج، وهذا ينتقل فجأة أو باندفاع.[27]

26 Abe Arkoff (1988): 293, Psychology and Personal Growth , Boston, Allyn and Bacon, Inc

27 مصطفى سويف 1960: الاستجابات المتطرفة كمقياس لمقدار توتر الشخصية، مجلة التربية الحديثة، الجامعة الأمريكية، ص 8-9 العدد 33 ،176 – 189.

أما الإتجاه الذي يتناول التطرف كمعنى فقد تعددت آراء علماء النفس في ظاهرة التطرف ، فمنهم من يرى أن التطرف بمثابة ثورة على الواقع إن لم يكن الواقع مقنعا أو كافيا، أوهروبا من ذلك الواقع إذا كانت الثورة عليه مستحيلة. وقد يكون راجعا لإضطراب في الشخصية أو قصور في تكوينها.[28] ويعرف محمد الشيخ التطرف بأنه: " تعبير عن إرتفاع مستوى التوتر النفسي العام، ومفهوم التوتر في هذا السياق يقصد به الأساس الدينامي القائم وراء الشعور بتهديد الطمأنينة أو بتهديد أي إتزان قائم بالنسبة للشخص ككل، أو بجانب من جوانبه، مما يترتب على ذلك من تحفيز للقضاء على هذا التهديد".[29] والشخص المتطرف هو الذي يعانى من بعض الإضطرابات والصراعات النفسية، ويستخدم بعض الأفكار الدينية على المستوى الظاهري، لكي يتغلب على ما يشعر به من تهديد لإتزانه القائم ككل أو لجانب من جوانبه.[30] وفى تحديد مفهوم التطرف يذكر جلال بيومي أنه يعني إستجابة في الشخصية تعبر عن الرفض والإستياء تجاه ما هو قائم بالفعل في المجتمع، وتعكس مجموعة من الخصائص المميزة للشخصية المتطرفة مثل السيطرة، المغايرة، ضعف الأنا، وتدفع هذه الخصائص بالشخصية إلى أساليب متطرفة في السلوك، كالتعصب، والتصلب، الجمود الفكري، النفور من الغموض .

مما سبق يتضح أن التعريفات النفسية بشقيها خلصت إلى أن التطرف سواء كان " دينيا، سياسيا أوإجتماعياً " يقصد به الغلو، والتشدد، وتجاوز حد الإعتدال والثورة، ورفض الواقع المحيط بكل ما يحمل من نظم ومعايير.

28 محمد عبد الظاهر الطيب ومحمد عبد العال الشيخ (1990 (: الأفكار اللاعقلانية لدى عينة من طلاب الجامعة وعلاقتها بالجنس والتخصص الأكاديمي ، بحوث المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر، الفترة من ـ 22 24 يناير، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، بالاشتراك مع كلية التربية ـ جامعة المنصورة.

29 محمد عبد العال الشيخ (1983): دراسة مقارنة للحاجات النفسية لدى المتطرفين في استجاباتهم وغير المتطرفين من الشباب الجامعي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا ص 80 .

30 خالد إبراهيم الفخراني (1993 (: مدى فاعلية العلاج العقلاني الانفعالي في مواجهة بعض الاضطرابات النفسية لدى المتطرفين، دراسة حالة، مجلة الإرشاد النفسي، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، العدد الأول، ص ص 259 ـ 260.

2.2.1 نظرية التحليل النفسي:

يرى محمد الدسوقي أن المتخصصين في التحليل النفسي يفسرون التطرف في أنه يكمن في ثلاثية (الجنس والعدوان والعلاقة بالسلطة الوالدية وامتداداتها .)[31] ويرى محمد عسلية أن فرويد لم يتظاهر بأنه يعرف عدد الغرائز، بل إنه إفترض أنه من الممكن إدراجها تحت فئتين عامتين: غرائز الحياة وغرائز الموت، وغريزة الحياة التي أعطاها فرويد أحيانا أكبر إهتمامه هي الجنس، أما غرائز الموت أو كما يسميها فرويد غرائز التدمير فتقوم بعملها بصورة أقل وضوحاً بالمقارنة بغرائز الحياة، ومن المشتقات المهمة لغرائز الموت الباعث العدواني، فالعدوانية تدمير الذات، وقد إتجهت إلى الخارج نحو موضوعات بديلة، فالشخص يقاتل الآخرين وينزع إلى التدمير لأن رغبته في الموت قد عاقتها قوى غرائز الحياة، بالإضافة إلى عقبات أخرى في شخصيته. وعند الإشارة إلى العامل الأول الجنس، العدوان، كإطار لتفسير الإتجاه نحو التطرف، يجب أن نوضح أن غريزة الحياة هي (منبع الطاقة النفسية المسؤولة عن كل رباط إيجابي مع الآخرين وعن كل علاقة عاطفية، فهي المسؤولة عن التقارب والتجمع)، وفي المقابل توجد غريزة الموت (تلك التي تهدف إلى التدمير، وإلى تفكيك الكائن الحي والعودة إلى وضعية الجماد) وهذه الغريزة إذا ما وجهت للخارج فإنها تأخذ شكل التدمير والعدوانية، وفي رأي فرويد أن هاتين الغريزيتين في صراع دائم، ومهمة الليبدو هو لجم غريزة الموت، ومنها تدمير الذات.[32] ويرى فرويد أن العدوان غريزة طبيعية، وأن الناس جميعا لديهم حاجة للعدوان ولابد أن تنطلق تلك العدوانية ، ولكن هناك علماء نفس آخرون لا يتفقون مع فرويد في ذلك الرأي، ويؤمنون بأن العدوان رد فعل طبيعي للإحباط وإعاقة الدوافع المهمة، ومن أكثر النقاط التي أثارت الجدل في نظرية فرويد هي أن طاقة العدوان الغريزي يجب أن تنطلق بطريقة ما، ولقد

31 محمد الدسوقي 1992 سيكولوجية التطرف ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة عين شمس. ص 50.

32 محمد إبراهيم عسلية 2009 : نظريات الشخصية، فلسطين، جامعة الأقصى. ص 125.

أطلق على عملية انطلاق الطاقة الغريزية التنفيس Catharsis، ويرى فرويد أن المجتمعات يجب أن تشجع التنفيس غير العنيف للطاقة العدوانية، ولكن بعض علماء النفس يؤمنون بأن الطرق التي إفترضها فرويد وأتباعه كوسائل آمنة للتنفيس، كانت على العكس من ذلك ، إذ أنها كانت سببا في زيادة العدوان.[33] ويرى جيرالد. س. بلوم "إن هدف الحفزة الغريزية هو الإشباع، مما يعنى خفض الإستثارة الأصلية وتفريغ الطاقة المكبوتة وهو يؤدى إلى تبديد التوتر، ويعيد حالة التوازن البدنية. والقوى الجنسية والعدوانية ما يمتنع عليها التعبير الشعوري المباشر مما يخلق توترات تبرزعلى المستوى اللاشعوري، وكثيرا في بنية الشخصية." [34] ويتفق مصطفى حجازي مع ما سبق، فيشير إلى أن هناك إرتباطا بين الميولات التدميرية والمتطرفة، وإحباط الذات عموماً، والإحباط الجنسي خصوصاً، فالقمع الجنسي يترك العدوانية المصاحبة له حرة تنطلق في سادية، ووفقا لنظرية التحليل النفسي يختل التوازن النفسي لمرحلة الكمون بشكل مفاجئ عند بداية المراهقة، وتقوي المراهقة متطلبات الأنا الجنسية مما يجعل التوازن يضطرب، وتثور الصراعات النفسية مرة أخرى ، وحين يسود الهو تلك الصراعات، يزداد التخيل في الغالب وتتكرر ممارسة الأنشطة الجنسية، ويزداد السلوك العدواني بل والسلوك المضاد للمجتمع أحيانا.[35]

وفي حالة إقتران شعورالإحباط بمشاعر تقدير الذات والمفهوم الإيجابي لدى الشخص عن نفسه تنمو مشاعر العدوان ضد المجتمع ولا يقف منه موقف العداء فقط بل موقف الرفض والإنكار، ويمكنه من تطوير هذا الموقف إلى التطرف والإرهاب عاملان هما :

---

33 Benjamin B. Lahey (1995):406 Psychology An introduction ,Fifth Edition, Madison, WCB Brown & Benchmark Publishers.

34 جيرالد. س بلوم 1994 : 36 ترجمة رزق سند: علم القوى النفسية اللاشعورية ، بيروت، دار النهضة العربية.

35 مصطفى حجازي 1976 :283 الصحة النفسية، القاهرة، مكتبة الخانجي.

- وجود أيديولوجية تشكل مجتمعا فرعيا يجابه المجتمع الأم ويرفض من خلاله مشروعية وجوده.

- تسلل ألهو العدواني والبدائي إلى الأنا الأعلى ليبرر الإرهاب، أوالتطرف بإعتباره كفاحا أخلاقيا لسيادة صورة مثالية يسعى إليها المتطرف. وعادة ما يستخدم إعتماد عقيدة أو أيديولوجية معينة بوصفه مظلة مناسبة يسلل من خلالها الهو وهوالمكون أوالنظام اللاشعوري العدواني البدائي النزعات إلى الأنا الأعلى وهو النظام الممثل لسلطة المجتمع والقيم والمعايير المثالية وفقا لما تذكره نظرية التحليل النفسي بحيث يمكن من خلال هذا الإعتماد وضع غلالة أوغطاء للنوازع العدوانية، أو صياغتها بمثاليات العقيدة أوالدين. فيبدو القتل والسلوك المضاد للمجتمع والإعتداء ليس بوصفه جريمة ولكن جهادا و دفاعاً عن المبادئ السامية وهكذا يتمكن الفرد من توفير مبررات تحتفظ لذاته بالتقدير والتماسك وقوة الدفع وكلها أمور تؤدى إلى تماسك المجتمع الجديد أو (الجماعة المتطرفة). [36]

ولذلك نجد أن المتطرفين يسوقون أنفسهم بشكل مثالي، وأنهم الذين سوف يبنون المجتمع الفاضل ويصححون كل الأوضاع الخاطئة بفكرهم وقدراتهم التي تفوق أفكار وقدرات الآخرين، وأن الآخرين غير قادرين على التصحيح وإنهم الأجدر لقيادة المجتمع والوصول به إلى برالأمان. وترى مدرسة التحليل النفسي أن حياة الإنسان في مطلع حياته يسيرها مجموعة من الدوافع الجنسية والعدوانية الفجة، ثم بتقدمه في العمر يخضع لسلطان المجتمع ولقيمه ومبادئه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المجتمع يسعى بدوره إلى ترويض دوافع الفرد وتهذيبها بحيث تصبح مقبولة بالنسبة لذلك المجتمع. [37] وفى علاقة التطرف بالسلطة الوالدية نجد أن نظرية التحليل النفسي تؤكد على أهمية علاقة الطفل بوالديه والتي يكون لها تأثير قوي في تكوين نمط شخصيته في المستقبل.

36 صفوت فرج (1993 (: قضية الإرهاب، محاولة للفهم السيكولوجي، مجلة دراسات نفسية، العدد الرابع، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم) ص 419.

37 عبد الرحمن العيسوي (1990 (: الإرشاد النفسي، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي 125:19.

وفي اضطراب العلاقة بين السلطة الوالدية والتطرف والعنف يشير الباحثون إلى أن السلطة الوالدية هي أول مصادر التشريع في واقع الفرد، تلك التي يستدمج الطفل صورتها ويتوحد بأوامرها ونواهيها في بداية الوجود، فهذه السلطة إنما تمثل الجهاز الذي يسيطر ويهيمن على تنظيم الطفل وتأهيله لمواجهة مصادر السلطة والتشريع القائمة في الواقع الأشمل، وهذه العلاقة (الطفل - السلطة) إذا ما اتسمت بالقهر والقمع من قبل الوالدين، فإن الطفل سيشب في هذا المناخ عاجزا عن التصدي للواقع بحس نقدي، أو تفكير عقلاني، وقد يؤدي ذلك أيضا إلى غرس القهر والتسلط، فيصبح فيما بعد عنفا وتطرفا. [38]

ومرحلة الشباب هي الأكثر حدة في مراحل نمو الإنسان، وذلك لأنه ينتقل من حالة الصبا إلى حالة الرشد، فبعد أن كان يتلقى التعليمات، عليه أن يصدر القرارات وبعد أن كان محدودا في ذكائه ونموه الجسدي والنفسي يعتقد أنه مساو للكبار وأن له دور اً في تغيير القديم إلى الجديد، فهذه عملية هدم وبناء متزامن لذلك نجد أن الشباب يميل إلى رفض والديه من أجل تأكيد هويته، إلا أن الأزمة لا تمر بهذه البساطة؛ بل تكون لها نماذج مثل أن يرفض موقع الوالدين رفضاً قاطعاً ، وهو ما نجده في اليسار والثورات الشبابية أو أن يكون الشاب ملكياً أكثر من الملك، أي أن يبالغ في المحافظة وهذا ما نجده في اليمين السياسي والإتجاهات الدينية السياسية المتطرفة. أو أن يقبل مشاعره ويبحث عن مواجهة المشكلة برمتها، أو أن يرتبك ارتباكا حادا قد يصل أحياناً لدرجة الجنون، أو أن يتمكن من أخذ كل ما سبق بإيجابية، يأخذ من والديه التراث والتاريخ الذي يحقق له الإستمرارية ولا تقلعه من جذوره ويأخذ من تمرده الحرية والإستقلال الذي يمكنه من بناء كيان جديد.[39]

38 القدرة التنبؤية للمخططات المعرفية وعوامل الشخصية والحاجات النفسية في الميل للتطرف الفكري، وبرنامج مقترح للوقاية منه، أماني محمد الفرجات.

39 الإتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجات النفسية لدى طلبة جامعة الأزهر، ص 37.

وعلى الرغم من كثرة الإنتقادات التي وجهت لنظرية التحليل النفسي إلا أنه لا يمكن إغفال تأكيدها على عدة أشياء مهمة نذكر منها ما يختص بظاهرة التطرف، وهي الدعوة إلى الإهتمام بالسنوات المبكرة من عمر الإنسان، التي ترسم من خلالها خارطة سلوكه المستقبلي، والتي لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته وعلى علاقة الفرد بوالديه وكيف يكون لها أثرا في تشكيل سلوكه ، فإذا اتسمت هذه العلاقة بالسواء انعكس ذلك على سلوك الفرد وكان سلوكا سويا، أما إذا اتسمت بالقهر والتسلط، فإن العنف والتطرف والسلوك العدواني المضاد للمجتمع سيكون هو النتاج، كيف لا ومن المعروف أن الضمير يتشكل من مجموع الأوامر والنواهي التي يحقنها الوالدين لأولادهم على مدار حياتهم.

3.2.1 نظرية الإحباط والعدوان:

تعتبر هذه الفرضية حجر الأساس لنظرية التحامل على شخص ما بتحميله خطايا غيره (نظرية كبش الفداء نظريا وعمليا لعديد من عمالقة علم النفس، والتي من خلالها تم الفداء) وهي حصيلة دراسة مستفيضة لتوضيح العلاقة بين الإحباط والعدوان، وقد أفادوا أن العدوان نتيجة تكاد أن تكون حتمية للإحباط وإن هناك علاقة طردية بين الإحباط والعدوان فكلما زادت حدة وقوة الإحباط زادت حدة وقوة العدوان لدى الأفراد المحبطين. إن مدارس التحليل النفسي تؤكد على أن هناك الكثير من أفعالنا التي تتحدد بالغرائز وبخاصة الغريزة الجنسية ، وعندما يحبط التعبيرعن هذه الغرائز تستثارالغريزة العدوانية ، ثم أتى بعد ذلك فرض الإحباط العدواني ويتضمن أنه عندما يعاق جهد الفرد نحو هدف معين تتحرك الغريزة العدوانية التي تحرك السلوك نحو تحطيم العوائق.[40] وقد قدم كل من نيل ميللر Miller وروبرت سيرز Sears، وماورر Mawrer، وليونارد دوب Doob ، و جون دولارد Dollard . وهم من علماء النفس الذين اهتموا بالجوانب الإجتماعية في السلوك الإنساني، ونجد أنهم قد

40 Rita L. Atkinson, Richard C. Atkinson Edward E. Smith, Daryl J. Bem and Susan Nolen Hoeksema (1993): 438 Introduction to Psychology, Eleventh Edition, New York, Harper & Brothers, Publishers.

استناروا بل تبعوا في أعمالهم بعضا من آراء فرويد، ولكن ما ميزهم أنهم قد قاموا بتجارب معملية واقعية ولم يكتفوا بالتحليل النظري للحالات. ويظهر الإحباط عندما يقف أي عائق يرتبط بالفرد أو بالبيئة، ويمنعه من أن يسلك السلوك الذي يهدف إلى إشباع حاجاته ودوافعه، ومفهوم الإحباط في علم النفس لا يشير إلى حدث إعاقة الإشباع، أو عدم تحققه أو إرجائه في حد ذاته، ولكنه يشير بالدرجة الأولى إلى المشاعر التي يشعر بها الفرد، نتيجة للإعاقة أو الفشل أو الإرجاء ، وهي مشاعر سلبية تتضمن الضيق والتوتر والقلق وخيبة الأمل والمشاعر الإكتئابية أحيانا، والحقيقة أن هذه المشاعر السلبية هي القسمة الرئيسية في المواقف الإحباطية.[41] وترى نظرية الإحباط أن التعصب (أحد مكونات التطرف) هو إظهار أو تنفيس لعدوان مُزاح ناتج عن الإحباط، فعندما يعاق الشخص عن تحقيق أهدافه، فإنه يمر بخبرة الإحباط الذي يؤدى إلى الشعور بالعدوان تجاه مصدر الإحباط، وفي كثير من الحالات قد يكون مستحيلا، أو غير مقبول إجتماعيا أن يظهر ذلك العدوان تجاه المصدر الأصلي. [42] وهذا يفسر عدائية الشباب المندفع ضد مجتمعه الأم ، وضد ممتلكات الدولة، رغم أنه يمكن أن يكون والديه أو معلميه هم الأساس أو السبب في حالة الإحباط التي يشعر بها، كأنهم يعاقبون المصدر بما يفعلونه ضد أنفسهم والمجتمع. وتؤكد دراسة محمد الشيخ على أن حالة الحرمان والإحباط المسيطرة على شعور الشباب المتطرف، إنما مرجعها الأول هو عدم إشباع حاجاتهم النفسية. وهذا الشعور بالإحباط يولد سلوكا عدوانيا، يتجه بكل قوته ضد مسبب الإحباط. [43] وعندما يقوم الشباب بالبحث والسعي للإنضمام إلى الجماعات المتطرفة ترى شادية قناوي أنه يكون بحثا عن الهوية، وبغية تحقيق الحاجة إلى الإنتماء والولاء.

41 علاء الدين كفافي (1990) 308-309 الصحة النفسية ، الطبعة الثالثة، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

42 Robert S. Feldman (1989):173 Adjustment Applying Psychology in Complex World , New York, Mac Grow Hill Book Company.

43 محمد عبد العال الشيخ مصدر سابق ص 88.

وهو من أبرز نماذج العنف الموجه نحو الآخر.[44] إن أشهر الإستجابات التي تثار في الموقف الإحباطي هو العدوان ويشمل: العدوان البدني ، كما يشمل العدوان اللفظي، ويتجه غالبا نحو مصدرالإحباط ، فعندما يحبط الفرد يتجه عدوانه إلى الموضوع الذي يدركه كمصدرلإحباطه، ويحدث ذلك بهدف إزالة المصدر أو التغلب عليه، أو كرد فعل إنفعالي للضيق والتوتر المصاحب للإحباط، أي أن العدوان المثار بسبب الإحباط لا يهدف في كل الحالات إلى إزالة الإحباط، إنما قد يكون تعبيرا عن الضيق موجها نحو المصدر.[45]

والشخص المتطرف يؤمن بقدراته ومهاراته الشخصية، وإمكاناته، كما يؤمن أنه أفضل كثيرا ممن حققوا نجاحات سهلة وهذا يضاعف مشاعر الإحباط لديه ويملؤه بمشاعر الغضب والعدوان، ولكنه في النهاية صاحب مفهوم إيجابي عن ذاته وتقدير مرتفع لها .[46] في كتابه البحث عن القوة أكد عبد الستار إبراهيم (1984)على العلاقة بين الإحباط والتطرف، فأشار إلى أن أهم العوامل التي تجعل الناس مستهدفة للإنجذاب نحو التطرف هو السخط العام على الظروف المحيطة، ولهذا دائما ما يرتبط ظهور التطرف وشيوعه في مجتمع ما بشعور الأفراد بأن معاييرهم وقيمهم الحضارية التي اعتادوا عليها لم تعد كافية لمنحهم ما يرضيهم. أشار "جلوك" أن هناك عدة أنواع من الإحباطات التي تؤدي إلى التطرف الديني، حيث أشار إلى أن هذه الإحباطات قد تكون إقتصادية أو عضوية أو أخلاقية أو فيزيائية، وأن الحرمانات الفيزيقية هي أكثر أنواع الحرمانات التي تؤدي إلى تكوين الفرق الدينية، ويكون هنا رد الفعل الديني للإحباطات التي لا يمكن أن تضبط أو يتحكم فيها، وأن الأنشطة الدينية هذه هي :

44 شادية على قناوي 1996 نحو تفسير آليات العنف في المجتمع المصري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد التاسع عشر، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ص 209.

45 علاء الدين كفافي مصدر سابق ص 324

46 صفوت فرج 1993 : قضية الإرهاب، محاولة للفهم السيكولوجي، مجلة دراسات نفسية، العدد الرابع، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم) ص 423.

تعـويض عـن الشـعور بالحرمـان والإحبـاط ولـيس فعـلاً لمحـو أسـباب الإحبـاط والحرمان.[47]

ولعل الضغوطات التي تولدها الحياة العصرية تلقي بظلالها على المجتمعات وتحيطهم بمتغيرات لا حصر لها، تزداد معها آمال و طموحات الإنسان في أن يجد له مكاناً وسط هذا الزحام الهائل من الأحداث، ويسعى جاهدا لتحقيق أهدافه وإشباع حاجاته، فيصطدم بالواقع المرير ويجد أنه من الصعب تحقيق هذا الكم من الأهداف والحاجات فيصاب بالإحباط نتيجة لذلك. من هنا نرى أن العلاقة بين الإحباط والعدوان والإتجاهات نحو التطرف، ليست علاقة طردية وليس هناك حتمية لهذه العلاقة. بل هناك عوامل وسيطة يمكن أن تحد من الإتجاهات المتطرفة رغم وجود الإحباط، فالإحباط يمكن أن يقاوم وأن ينتصر عليه الفرد إذاما تم تسليحه بعوامل البقاء الأيديولوجي والنفسي.

۞ ۞ ۞

47 سامية الخشاب 1988: 72 دراسات في علم الاجتماع الديني،القاهرة ، دار المعارف.

3.1 التطرف في ضوء النظريات المعرفية

إن الإتجاهات نحو التطرف تتكون في بداية الأمر بصورة معرفية في أذهان المتطرفين، ويشكلون منها قناعات وأفكار أيدولوجية لكي تبرر من خلال هذه الأفكار والقناعات السلوكيات المتطرفة ضد الآخرين والمجتمع، ويزيد ويرتفع الإحساس الوجداني (كمكون من مكونات الإتجاه) بالكره والحقد ضد المختلفين عنهم. تعتبر المكونات المعرفية للفرد، هي المحور الرئيسي لشخصيته، وهى التي تؤثر على مشاعره وسلوكه، والمكون المعرفي للإتجاهات المتطرفة يتمثل في المعتقدات والأفكار الجامدة التي توجد لدى بعض الأشخاص عن بعض الأشخاص الآخرين أعضاء الجماعات الأخرى، وهو ما يأخذ صورة القوالب النمطية الجامدة، كما أن المتطرفين يتصفون بوجود نسق إعتقادي جامد، حيث يتسمون بالتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة دون أية محاولة منهم للتعرف على تلك الأفكار والمعتقدات والتفكير فيها. [48] ولقد أصبح واضحاً أن الإنسان المتطرف يتعامل مع ما لديه من أفكار ومعتقدات بصورة قدسية متناهية ولا يقبل أن تحقر هذه الأفكار بأي صورة من الصور، ولذلك يجب أن نتلمس ذلك عندما نتعامل مع الأفراد المتطرفين وأن يكون هناك مداخل للنقاش غير مباشرة، لتجاوز مفهوم القدسية لديه.

تحدث عملية إعادة تنظيم البناء المعرفي للشخص عبر مراحل حياته المتسلسلة، ويتغير نمط التفكير تدريجياً بفعل تأثير الخبرات الشخصية التي يمر بها الفرد، وكأن هناك نوعا من التعليم أو العلاج الذاتي، حيث تهاجم الأفكار والمفاهيم الخاطئة، وتعدل تدريجيا و كلما تقدم به العمر يصبح الفرد أكثر عقلانية، وأكثر استبصارا، وينطبق ذلك بشكل خاص على الشخص السوي ، أما الشخص غير السوي بذاته فإن الأفكار اللاعقلانية لديه تزداد نوعاً وكما وتظل تؤثر في سلوكه بشكل سلبي فتوقعه تحت طائلة العصاب أو الذهان.[49]

48 محمد شلبي وابراهيم الدسوقي 1993 : المكونات المعرفية للتطرف ، مجلة دراسات نفسية، المجلد الثالث، العدد الأول، ص 11

49 محمد السيد عبد الرحمن، معتز سيد عبد الله 1996: الأفكار اللاعقلانية لدى الأطفال والمراهقين وعلاقتها بكل من

4.1 المدخل السوسيولوجي للتطرف كظاهرة إجتماعية

التطرف كظاهرة إجتماعية قد يظهر في صور متباينة، منها التطرف السياسي، والتطرف الإجتماعي، والتطرف الفكري، والفني، والتطرف الديني. ويتميز هذا الشكل الأخير (التطرف الديني) بالميل إلى التشدد والمغالاة في الممارسات والسلوك الديني وبالعنف والعدوانية، فالعنف إنما هو جزء لا يتجزأ من تكوين الجماعات الدينية المتطرفة وهو وسيلتها لتحقيق أهدافها في المجتمع ، كما يتميز هذا الشكل بالتمرد على السلطة، فالجماعات الدينية المتطرفة هي حركات إجتماعية ثقافية معارضة تقوم على مقولات إنقلابية بهدف قلب النظام السلطوي بطريقة راديكالية، لإقامة دولة على أساس ديني عقائدي.[50] ونجد أن مفهوم التطرف يختلف عن الإرهاب فالتطرف لا يتجاوز كونه مجموعة من الأفكار والآراء المتشددة الجامدة التي يعتنقها الشخص بشدة ويرفض ما عداها، أما إذا إستخدم العنف والعدوان لفرض آرائه بالقوة لتحقيق مطالبه الأخرى فسوف يصبح إرهاباً. ويرى سمير نعيم أن الجماعات التي إعتقدت معتقدات تختلف عن معتقدات المجتمع الذي تنتمي إليه، واحتكرت لنفسها من الوعظ والإرشاد والتعليم وتفسير الظواهر الكونية أوالإجتماعية إعتبرت جماعات متطرفة. [51]

إهتم علماء الإجتماع بدراسة ومعالجة قضايا الشباب في صلتهم بالمجتمع، ودراسة الظواهر المرتبطة بسلوكهم، إتجاهاتهم المتطرفة، والثورات الطلابية والثقافات الإنعزالية والتمرد والرفض والعنف. وأيضا دراسة قيم الشباب السلوكية ومدى مشاركتهم السياسية والثقافية ودورهم في عمليات التغيير والبناء والتنمية وذلك في ضوء واقعهم الإجتماعي، على اعتبار أن الشخصية نسق تنتظم فيه الدوافع والقدرات العقلية والجسمية الفطري منها والمكتسب، والمعايير السائدة في المجتمع وأساليب التنشئة الإجتماعية التي تهيئ الفرد لأداء الدور المتوقع منه في المجتمع. [52]

حالة وسمة القلق ومركز التحكم، بحوث في علم النفس الاجتماعي والشخصية، المجلد الثاني، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 150.

50 عفاف عبد المعتمد على عمران 1994 : الأبعاد الاجتماعية الاقتصادية لظاهرة التطرف الديني، بحث تطبيقي على بعض فئات المجتمع المصري بمنطقة المنيرة الغربية ، مجلة دراسات تربوية، المجلد التاسع، الجزء 63 ،رابطة التربية الحديثة، ص 261 .

51 سمير نعيم، مصدر سابق ص 111.

52 جلال سليمان, مصدر سابق ص 21.

يرجع هذا المدخل مشكلة التطرف إلى أسباب وجود صراع ثقافي أو فجوة ثقافية بين جيلين من شأنها أن تباعد جيل الشباب نفسيا وفكريا وفيزيقيا عن جيل الكبار لسبب أو لآخر.[53]

ويمكن تفسير التطرف من خلال المدخل السوسيولوجي في ضوء ما يلي :

1.4.1 الفجوة بين الأجيال (صراع الأجيال) :

يصف ميللر الثقافية الفرعية بأنها مجالات للإهتمام بقضايا لها إنتشار ملحوظ ودرجة عالية من الإحتواء أو الإندفاع العاطفي ، وبالتالي يمكن تطوير تصور عن الثقافات الفرعية للشباب " ثقافة الشباب " كجماعة مرجعية تواجهها مشكلات توافقية مشتركة، ولا يجدون لها حلاً فعالاً، ومن ثم فإن المظهر الأساسي لوجودها هو أنها تشكل مجموعة من السلوك والقيم، لها رموز ذات معنى بالنسبة للمشاركين فيها، تميزهم عن غيرهم من خلال تفاعله الإجتماعي مع الآخرين، ويتعلم الفرد أسلوب ثقافته الفرعية من خلال تفاعله الإجتماعي مع الآخرين الذين ينتمون إلى نفس الثقافة.[54]

2.4.1 البنائية الوظيفية:

تعد البنائية الوظيفية من أكثر إتجاهات الفكر الإجتماعي واقعية لإرتباطها بالتحليل المنهجي المنظم للوقائع الإجتماعية والأوضاع القائمة والوظائف التي يؤديها النسق الإجتماعي على مختلف مستوياته ، على إعتبار أن تصرفات الأفراد وأفعالهم ليست عشوائية ولكنها ترتبط بالبيئة الإجتماعية المحيطة بهم.[55]

53 السيد عبد العاطى السيد 1990 :.صراع الأجيال "دراسة سوسيولوجية في الثقافة للشباب". الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
54 المرجع نفسه ص 54-55.
55 جلال سليمان, مصدر سابق ص 25.

ووفقا لهذا المدخل فإن مشكلة التطرف ما هي إلا محصلة نهائية لتفاعل عدد من الأبعاد البنائية التي حددت أو شكلت واقع المجتمع المعاصر، وحددت بالتالي لشبابه أوضاعا ومكانات وأدوار محطة لآمالهم تارة ومثيرة لرفضهم تارة أخرى بناء على ما يعانونه من توتر.[56] وهكذا يتضح لنا تعدد المداخل والتوجهات النظرية المفسرة للإ تجاهات المتطرفة وأسبابها، وذلك يعود إلى تنوع وجهات النظر في بحث الجوانب المختلفة لظاهرة التطرف وعلاقتها بالشخصية والواقع الإجتماعي والنسق القيمي السائد في المجتمع.

۞ ۞ ۞

56 السيد عبد العاطى السيد مصدر سابق ص 78.

5.1 أشكال (أنواع)التطرف

يلاحظ أن التطرف لا يقتصر على شكل واحد أو نوع محدد أو مجال معين، ولكن نجده في مختلف مجالات حياتنا اليومية ، فقد يكون تطرفا دينيا أو إجتماعيا أو فكريا. و التطرف كغيره من الظواهر الإجتماعية المعقدة والمتشابكة له أنواع مختلفة ومستويات متعددة ، فهناك التطرف السياسي والفكر ي والإجتماعي والديني والإقتصادي، إلا أن أهم هذه الأنواع وأكثرها فعالية وأثرا، التطرف الديني والإجتماعي وما يترتب عليهما من أنواع أخرى من التطرف في المجالين الديني والإجتماعي قد تصل إلى درجة التطرف العنيف أو الإرهاب. وهذا يؤدي بدوره إلى خلل إجتماعي، ومن ثم فالتطرف (الديني -الاجتماعي) يشتمل على أنواع أخرى من التطرف كالتطرف السياسي والإقتصادي والفكري.[57]

وفيما يلي عرض لأهم وأشهر أشكال التطرف في مجالات حياتنا اليومية:

1.5.1 التطرف الديني:

حري بنا أن نذكر بأنه كما أن التطرف لا يقتصرعلى مجال معين، كذلك التطرف الديني لا يرتبط بدين بعينه دون غيره، فكل الديانات من بين أتباعها أناس متشددون وآخرون معتدلون، وكلنا نعلم بأن الدين الإسلامي مستهدف من قبل أعدائه، الذين يشعلون النار من صغير الشرر، مستغلين بعض الخلافات بين بعض الفرق ليجددوا الفتن والمعارك بينها، وهذه محاولة منا لصد الخطر عن ديننا الحنيف، محاولين إنارة القلوب والعقول لفهم حقيقة ديننا الذي يدعو إلى الصراط المستقيم، وإجلاء أية تهمة أو أكذوبة تغرر بسماحة هذا الدين الحنيف.

57 السيد محمد عبد المجيد 1996 .دراسة لإتجاهات طلاب الجامعة نحو التطرف الديني والاجتماعي. المؤتمر السنوي الثاني لقسم علم النفس التربوي "رؤية نفسية تربوية لمشكلات المجتمع المعاصر "كلية التربية جامعة المنصورة. ص 57.

فالتطرف الديني ظاهرة عامة أصابت جميع الأديان في شتى المراحل التاريخية ولا يزال لكل دين "خوارجه " يخرجون عن أنماطه السائدة ، والإسلام مثله مثل أي دين آخر قد تعرض لكثير من الإهدار المتطفلة والأفكار المتطرفة في العديد من المراحل التاريخية.[58]

وإذا نظرنا إلى التطرف الديني وجدناه في كل بلاد الدنيا، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، والمتطرفون الدينيون من غير المسلمين يعلنون عن أنفسهم بأقوال وأعمال وتصرفات تتسم بالتزمت أو العنف، ومع هذا لم ينكر العالم عليهم ما أنكره على من سموهم المتطرفين المسلمين، ولم تقف دولهم منهم موقف دول البلاد الإسلامية من هؤلاء ، رأينا التطرف الديني اليهودي في دولة الكيان الصهيوني ويتمثل ذلك في أحزاب ومنظمات تصرح بأهدافها، وتعلن عن مبادئها، في غير وجل ولا خجل، بل إن الدولة المغتصبة نفسها ما قامت إلا بوحي هذا التطرف، الذي استوحوه من أسفارهم وتلمودهم، وعلمهم أنهم وحدهم شعب الله المختار، وأن الأمم يجب أن تكون في خدمتهم، وأن ليس عليهم في الأميين سبيل، وأن دماء الآخرين وأموالهم و أوطانهم حلال في سبيل تحقيق مآربهم.

ورأينا التطرف الديني النصراني في لبنان، حيث قام "الكتائبيون " وأنصارهم بذبح المسلمين، وقطع مذاكيرهم وتعليقها في أفواههم، والتمثيل بجثثهم، وانتهاك حرمات نسائهم المسلمات بطرائق وحشية، وإحراق مصاحفهم، وكتبهم الدينية، ووطئها بالأقدام، وإهانة كل ما يدل على هويتهم الإسلامية، تحت شعار النصرانية وبإسم المسيح رسول المحبة والسلام. رأينا التطرف الديني النصراني في لبنان، ورأيناه في قبرص ضد الأتراك المسلمين، ورأيناه في أثيوبيا ضد الإرتريين المسلمين، وفي الفليبين ضد الجنوبيين المسلمين. ورأينا ما فعله المسيحيون بأفريقيا الوسطى بآلاف المسلمين إذ وصل بهم الأمر إلى حد أكل لحومهم.

58 محمد أحمد بيومي 1992 .ظاهرة التطرف "الأسباب و العلاج". ص 93 الإسكندرية : دارالمعرفة الجامعية.

ورأينا متطرفين من الكاثوليك وآخرين من الأرثوذكس، وآخرين من البروتستانت.
ورأينا التطرف الديني الوثني في الهند حيث تقوم أحزاب هندوسية متعصبة جعلت أكبر همها قهر المسلمين، بل القضاء عليهم، ولا يكاد يمر عام دون أن تقوم مجزرة بشرية، ضحاياها أرواح الأبرياء من المسلمين المسالمين.[59]
ورأينا التطرف البودي في بو رما، كيف فعل البوديون الذين يروج لهم في أسقاع العالم بأنهم مسالمون، كيف حرَّقوا و ذبَّحوا و هجَّروا مئات الآلاف من المسلمين الروهينجا.
فالتطرف الديني قد ينبع من القلق الهستيري الذي يعانيه المتطرفون إما لفراغ في نفوسهم وشعورهم بالقحط القاتل، وإما لإثبات تفكيرهم وإما لإحساسهم الذي قد يكون صادقا بنقصان نفود الإسلام في المجتمع المسلم، وإما لمؤتمرات خبيثة تمارسها بوسائل غير منظورة قوى خارجية، تطارد الإسلام وتعمل لإحباط دعوته وتمزق وحدته، وكثيراً ما يجئ التطرف الديني كرد فعل آخر في جانب الرذيلة والشر.[60]
فقد ينشأ التطرف الديني كرد فعل للصراع القيمي لدى الشباب من جانب، وقصور الثقافة الدينية من جانب آخر. مما قد يؤدي إلى تسطيح الفكر الديني لدى الشباب، ومن ثم فقد يصبح الشباب فريسة سهلة تتلقفها الآراء المتطرفة.[61]
ويشخص محمد أحمد بيومي الأسباب المؤدية إلى التطرف الديني، بأن منها ما يرتبط بالقيم الثقافية السائدة ومنها ما يرتبط بالنظام السياسي وبعضها الآخر مرتبط بالأوضاع الإجتماعية ، وأخيرا شخصية المتطرف نفسه. و تتفاعل كل هذه المكونات فيما بينها وتتبلور على الشكل الآتي:

- الفهم " الخاطئ " للدين ومبادئه وأحكامه والظروف التي تهيئ له وتستقيه عليه.
- الإحباط الذ ي يلقاه الشباب نتيجة إفتقارهم للمثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم.

59 يوسف القرضاو ي 1996 .الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ط ٤ .ص 91- 92 القاهرة :دار الصحوة.
60 محمد أحمد بيومي مصدر سابق ص 92.
61 السيد محمد عبد المجيد مصدر سابق ص 58.

- الخطـأ فـي إدراك حقيقـة المثـل العليـا وطبيعـة المجتمعـات الإنسـانية وأسـلوب الصلح .
- الخطـأ فـي تبسـيط الأحكـام وتعميمهـا، وسـوء الظـن بـالآخرين والنظـرة إلـيهم بنظـرة تشاؤمية .
- شيوع القهر والقمع بدلا من الحوار سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة أو المجتمع أو الدولة، ويكون رد الفعل في صورة تمرد عنيف من جانب الشباب إزاء السلوك الذي يمارس القمع، وأحيانا يكون القمع ذاته سببا لإثارة التطرف والعنف وليس علاجا له.
- غياب الحوار المفتوح من قبل رجال الفكر الديني لكل الأفكار " الواردة " أو المتطرفة ومناقشة بعض الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي خاصة ما يتعلق "بالأمانة" والإجتهاد والجهاد والعلاقة بين الدين والسياسة وأسلوب الدعوة.[62] ويؤيد ذلك حسين رشوان بأن غياب الحوار المفتوح من قبل رجال الفكر الديني لكل الأفكار الواردة أو المتطرفة، ومناقشة بعض الجوانب تؤدي إلى التطرف في الرأي ، فضلا عما تمارسه بعض وسائل الإعلام وما ترسخه في نفوس الشباب من قيم غريبة عن المجتمع لاسيما الأفلام والشرائط التي يساء إختيارها، وتقدم عن طريق السينما والتلفزيون ، وكما تأتي أيضاً من الخارج شرائط، وكتيبات صغيرة، والمطبوعة طبعا أنيقا ، وتوزع على المناطق العشوائية التي لا يصل إليها عالم ولا فقيه ، ولا تخضع لإدارة المؤسسات الدينية المنوط بها الرد على الأكاذيب و الشبهات.[63]
- إتباع المنهج الحر في في تفسير نصوص القرآن أو الأحاديث النبوية الشريفة ، والتمسك المطلق بحرفيتها دون الإلتفات إلى مقاصدها العامة.[64]

62 محمد أحمد بيومي مصدر سابق ص 92.
63 حسين رشوان 1997 .ا لتطرف و الإرهاب "من منظور علم الاجتماع .ص 32 الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية. بتصرف
64 جلال سليمان, مصدر سابق ص 36.

وقد عبر القرآن الكريم عن التطرف باستعمال لفظ " الغلو " محذرا منه باعتباره هلاكا للدين، كما جاء في الحديث النبوي الشريف " إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين"[65] وفي رواية أخرى "هلك المتنطعون"[66] وللعلماء في تفسير " التنطع " و " المتنطعين " عبارات كثيرة ، تتوافق ولا تتعارض ، وكلها تجتمع في معنى واحد ، يرجع إلى التكلف والتشدد فيما لا ينبغي وفي غير موضعه الصحيح.[67]

وليس هذا مجرد غلو بل هو جهل ضار بهم و بأمتهم إقترن بسوء النية في الأمة و العلماء و الحكام، واقترن مع الأسف بهذا العنف الذي ما كان يصدر عن إنسان يدعو إلى الله ، و يلتمس أن يلتف الناس حوله عن حب وإقتناع ليصل إلى غايته في تمكين شرع لله ، متى كانت هذه غايته فعلا.

يذكر يوسف القرضاوي " إن هذا الغلو في الذي إنتهى بهؤلاء الشباب المخلصين الغيورين على دينهم إلى تكفير من خالفهم من المسلمين و إستباحة دمهم و أموالهم هو نفسه الذي إنتهى بالخوارج قديما إلى مثل ذلك، و أكبر منه، حتى أنهم استباحوا دم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو من هو من قرابة الرسول صلى الله عليه و سلم و سابقة في الإسلام و جهاد في سبيله ".[68]

2.5.1 التطرف اللاديني (العلماني):

العلمانية في أصلها دعوة إلى فصل الدين عن الدولة و تحتوي على مبادئ سامية تضمن لكل فرد حرية المعتقد والفكر، وكذا تجعل الدولة على مسافة واحدة من المعتقدات فليس للدولة دين. إلا أن إساءة إستعمالها من طرف المتطرفين اللادينيين جعلها في كثير من الأحيان تصبح دين من لا دين له، وأداة بيد من يكره ويحارب الدين لفرض آراءه ومعتقداته على بقية المجتمع من المتدينين باختلاف مشاربهم.

---

65 أخرجه أحمد:1/215، والنسائي:268، وابن ماجه:3029

66 رواه مسلم 2670

67 https://islamqa.info ما هو التنطع المذموم ؟

68 عبدالمنعم النمر 1993. حديث إلى الشباب المتطرف. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 196-198.

ومحاصرة لجميع أشكال التدين، مما يجعل من بعض الدول كفرنسا والصين مثلا نماذج للتطرف العلماني، حيث تعد التدين من الجرائم السياسية التي يجب محاربتها والقضاء عليها.

والتطرف العلماني لا يقل خطورة عن التطرف الديني، وذلك حين يفرض النموذج الواحد بدلا من التعددية، حين يرغم الناس على التفكير والحديث واللبس بنفس الطريقة التي تريدها "السلطة المقدسة"، سواء كان ذلك في الدول الغربية الديمقراطية أو في "الدولة الداعشية" الإرهابية.

وإذا كان التطرف الديني في جنب المرأة يمارس غلوه في إجبارها على طمس هويتها وفرض لباسها وهضم حقوقها وإلزامها بالبقاء في بيتها، فإن التطرف العلماني يمارس عليها نفس الغلو من خلال تخييرها بلباس معين أو لزوم بيتها إذا لم تفعل، مما يعدو هضما صريحا لحقها فيما تعتقده دينا أو هوية خاصة بها.

اللافت هنا أن القوانين الأوروبية تجرم الحديث عن إنكار الهولوكوست إحتراما لليهودية، بينما لا تمارس الإحترام ذاته مع المعتقد الإسلامي من خلال حرمان المحجبة من التعليم في فرنسا، والسماح للرسوم المسيئة للرسول الكريم في الدنمارك، وغيرها ومنع المآذن في سويسرا، فيما يسمى بـ"الحرية البيضاء" التي تمنح للإنسان الأبيض فقط. بينما العدالة والمساواة تقتضي أن تكون حرية ملونة تشمل كل ألوان البشر ومكوناتهم العرقية والفكرية والثقافية، بحسب المفهوم العميق للحرية التي تنادي بها العلمانية والديمقراطية.[69]

أما في الدول الإسلامية ففي الآونة الأخيرة أصبحنا نلاحظ تطرفا من نوع آخر ليس بالقرب من الدين الى حد الإفراط والمغالاة فيه ، بل على النقيض من ذلك في البعد والإنفصال عنه حتى وصل إلى حد التفريط فيه، واتباع العقل والهوى، والدعوة للتحرر من الدين، إلا حد وصل الى السخرية والازدراء منه.

ويتمثل في التيارات الإستئصالية التي ظهرت في بعض البلدان العربية والإسلامية، فهي ترفض رفضاً باتا كل حضورللإسلام في مختلف مجالات الحياة، وتشن حربا

69 التطرف العلماني، الوطن السعودية، فهد الأحمري، الثلاثاء 31 يناير 2017.

ضروسا مستخدمة في ذلك الدولة كأداة لمحاصرة مظاهرالدين و التدين.

ولقد عرفه يوسف القرضاوي بأنه تطرف في التحلل من الدين والإزدراء عليه، والسخرية به، وهنا يكون هذا اللون من التطرف أمرا طبيعياً، لأنه مساير لقوانين الفعل ورد الفعل (...) وهو جدير بأن ينبه أولئك الشاردين للرجوع إلى الوسط المعتدل، وبالتالي يعود هؤلاء ليلتقوا مع أولئك في منتصف الطريق. [70]

تقول الدكتورة آمنة نصير أستاذة الفقه المقارن بجامعة الأزهر: تزايدت في السنوات الأخيرة نبرة الإساءة إلى الإسلام والهجوم على رموزه في الأوساط الثقافية داخل المجتمعات الإسلامية ذاتها وكأن المسلمين استطاعوا مواجهة الإساءات القادمة من الغرب حتى تلوح في الأفق إساءات بعض أبناء جلدتنا، وهكذا أصبحت الإساءات لا تنقطع في الكتب والمجلات والمسرحيات والأفلام والإعلام والمناهج الدراسية. وترى نصير أن هؤلاء الذين يروجون لأنفسهم على أنهم تنويريون، أويسعون لتطوير مجتمعاتنا، إنما يستغلون الموقف أبشع استغلال وأن خطرهم لا يقل عن خطر التنظيمات الإرهابية التي انتشرت في مجتمعاتنا انتشارالنار في الهشيم.

وقال الدكتور زكي عثمان أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر إن هؤلاء الذين يريدون نشر قيم وثقافة الغرب في مجتمعاتنا لا يسعون أبدا إلى الخير للأمة الإسلامية، وإنما يريدون إيجاد إسلام جديد بلا عقيدة وبلا شرف وبلا قوة. ويدعون إلى إسلام لا يعرف عقيدة صحيحة بحيث تستوي عقيدة المسلم وعقيدة الوثني وهكذا لا يعتز المسلم بعقيدته على أساس أنها الحق الذي ليس وراءه إلا الضلال المبين، وكذلك هم يريدون إسلاما بلا شرف ويريدون أن يضيعوا المرأة المسلمة تحت شعار الحرية ويروجون للجنس والزواج المثلي وحقوق الشواذ، وتلك المعاني التي تتنافى مع فطرة الإسلام وتعود بالإنسانية إلى عالم الغاب فهم يريدون أن يخرجوا المسلمين عن ولائهم لشرف العرض وشرف النسب.

70 يوسف القرضاو ي مصدر سابق ص 130.

و يؤكد الدكتور سالم عبد الجليل وكيل وزارة الأوقاف المصرية الأسبق أن الإسلام يتعرض لهجمة شرسة ممن يطلقون على أنفسهم وصف العلمانيين والذين يريدون نشر الفاحشة في مجتمعاتنا بإسم مسايرة الحداثة والتطور وما يدعو للأسى أن هؤلاء يدينون بديننا، ولكنهم وكما يبدو تعرضوا لهزيمة نفسية وانبهروا بالغرب انبهارا تجاوز حدود المعقول وبدلا من أن يستغلوا انبهارهم لدفع مجتمعاتهم للتطور الحقيقي بعيداً عن نشر الإباحية والفجور والعري ومهاجمة التشريعات الإسلامية وجدناهم يتغربون ويكتفون من الغرب بالقشور ولا يبحثون عن مكمن تطوره العلمي بقدر ما يبحثون عن كيفية تقليد الغربيين في الملبس والمأكل والحياة اللاهية التي تخلَّى فيها الغرب عن كل تعاليم الدين المسيحي، وهكذا تغرب هؤلاء المسلمون وأصبحوا يتكلمون بيننا بلغة غريبة فيهاجمون الإسلام ويمدحون ما يخالفه.

يقول د. زكي عثمان أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر إن أصحاب الدعوات الهدامة التي تحاول النيل من صحيح العقيدة، قد يتكلمون لغتنا ويسمون بأسمائنا لكنهم في الحقيقة دخلاء على فكر الأمة لأنهم يفهمون الأمور فهما مغلوطاً، فالدين دين الحياة ولا حياة بغير الإسلام، وبالتالي يجب أن نصحح لهم هذا المفهوم ونبين لهم أننا مجتمعات إسلامية تحتكم إلى الوحي المنزل الصحيح وتجتهد في أمور الحياة وتقدم ما يصلح المجتمع ويقوده نحو المجتمع المثالي الصحيح. [71]

أما ثنائية التطرف العلمانى والدينى فتقتل الحوار والمساومات والمفاوضات وغيرها من أدوات التواصل وتجنب الصدام، لأنها مشبعة بذلك الشعور الكهنوتى، دينيا كان أو علمانيا، بأنها الأرقى والأفضل والأعلى، فلماذا يتم التفاوض أو المساومة أو حتى الحوار؟

ومن هنا يكون إنتشار العنف سمة من سمات المجتمعات المتطرفة فكريا أيا كان إتجاه هذا التطرف وموضوعه. يلاحظ أيضا في هذا السياق أنه إذا كان التطرف الديني يدفع

71 زكي عثمان، علماء: التطرف العلماني الوجه الآخر للجماعات الإرهابية،16 أكتوبر 2014.

جماعات مسلحة تكفر بالدولة والمجتمع إلى حمل السلاح وخرق القانون والإعتداء على المنشآت والمواطنين العزل، فإنه وبنفس الطريقة فإن التطرف العلماني يستعين بالدولة وحقها الإحتكاري في استخدام أدوات العنف لسحق معارضيه ومخالفيه.[72] يقول ياسين الحاج صالح في كتابه "أساطير الآخرين" الذي يعتبر من روائع الأعمال المعاصرة المكتوبة فى قضية الإصلاح الديني: "لا نرى أنه يخدم قضية المساواة والتحرر العقلي والسياسي والعلمانية اختزال هذه الأخيرة إلى الردح ضد الإسلاميين أو تحريض السلطات عليهم. هذا مسلك عقيم، أسهم فى توصيل العلمانية إلى طريق مسدود".[73]

3.5.1 التطرف الإجتماعي:

لا يختلف التطرف الإجتماعي في مفهومه كثيرا عن التطرف الديني فكلاهما مجاوزة حد الإعتدال في السلوك مع تعصب وتشدد سواء كان هذا السلوك دينيا أو إجتماعيا، إذن فالتطرف الإجتماعي هو المغالاة بالإفراط أو التفريط في السلوك والآراء و الأفكارالإجتماعية وأساسه التمييز والتعصب والإنغلاق الإجتماعي منهجا وفكرا وسلوكا، ونضيف بأن المتطرف إجتماعيا يعاني من سوء التوافق الإجتماعي ، فهو مريض إجتماعيا ونفسيا.[74]

والفرد المتسم بالتطرف الإجتماعي له عدة سمات منها أنه يشعر بالتميز، وينظر إلى الآخرين على أنهم أقل في المكانة وحتى في القدرات العقلية، وأن لهم من السما ت غير المستحبة والمنفردة الكثير، وينظر إليهم نظرة عداء أينما وحيثما كانوا.[75]

72 التطرف: بين الدينى والعلماني،أحمد عبدربه مدرس النظم السياسية المقارنة بجامعة القاهرة. الشروق.
73 ياسين الحاج صالح أساطير الآخرين: نقد الإسلام المعاصر ونقد نقده. دار الساقى ببيروت 2011 .
74 السيد محمد عبد المجيد مصدر سابق ص 59.
75 حامد زهران 1984 .علم النفس الاجتماعي ط 5 .القاهرة: عالم الكتب. ص 180.

ويرى السيد محمد عبد المجيد أن التطرف الإجتماعي لا يقل خطورة عن التطرف الديني ، فمن آثاره السلبية الفرقة والعنصرية بين أبناء المجتمع الواحد من ناحية، وبين المجتمع والمجتمعات الأخرى، ويؤدي إلى تدمير القيم والعادات الإجتماعية التي نشأ عليها أبناء المجتمع والتزموا بها.

والمتطرف إجتماعيا لديه عداء للمجتمع، فقد تصل درجة عدائه إلى حد الإعتداء بالقتل والتدمير والحرق والسلب والنهب والإغتيالات ، وإرهاب الآمنين ، وتدمير منشآت المجتمع الحيوية، وتبديد طاقاته والقضاء على مقدراته، وفي النهاية يؤدي إلي زعزعة الأمن والإستقرارالإجتماعي.[76]

أما فيما يخص بعض الأسباب التي تؤدي إلى التطرف الإجتماعي فنذكر منها:

- فشل المنظمات المؤسسة في تمتين روابط أقسام المؤسسة و تعزيزها ومن ثم عدم تمكنها من السيطرة عليها، الأمر الذي يؤدي في إضعاف المؤسسة في إنجاز وظيفتها.
- إنهيار أو إنكسار أو تحلل العلاقات الشخصية التي تربط بين الأفراد داخل الجماعات الإجتماعية.
- ضعف قدرة المجتمع في إعادة بناء السلوك الرصين للأفراد نحو أهداف إنسانية نبيلة.
- ضعف تأثير المعايير الإجتماعية في توجيه سلوك الفرد نحو أهدافها.[77]

4.5.1 التطرف الفكري:

برز التطرف الفكري في وقت مبكر من تاريخ المجتمع البشري، حتى قبل أن تتعقّد التركيبة الإجتماعية سواء في منظومتها الفكرية أو في وسائلها الحياتية، لأن في أسباب

76 السيد محمد عبد المجيد مصدر سابق ص 60.
77 التوجه نحو التطرف (سياسي، ديني،أجتماعي) لدى طلبةجامعة القادسية ص 20.

التطرف الفكري ما ليس رهناً بالتركيبة الإجتماعية المعقدة، و إنما يتجسد في البيئة الساذجة على وجه التحديد. ولطالما وجد التطرف الفكري لا كحالة في الفرد و المجتمع، و إنما كظاهرة إجتماعية تتسع وتضيق حسب عوامل نشوئها، و حجم تفاعل هذه العوامل و تأثيرها.

و لم يقتصر ذلك على صعيد معيَّن من أصعدة الحياة، و إنما يكاد يشمل أو يشمل بالفعل جميع الأصعدة، لأن التطرف الفكري يتحقق أينما تحقق سببه وعلى أي صعيد.[78]

في ميدان علم الإجتماع يُرى أن التطرف هو نوع من الجمود والإنغلاق الفكري لدى فرد أو جماعة من جماعات المجتمع خرجت بفكرها عن حد الإعتدال وعلى ما تواجد أفراد المجتمع عليه واعتادوا من طرق التفكير والشعور وهذه الجماعات تؤمن إيماناً أعمى بصحة معتقداتها ومستعدة للتضحية في سبيلها.[79]

وقد يشير التطرف إلى مصطلح آخر وهو مصطلح التعصب Prejudice وهو ميل إنفعالي يؤدي بصاحبه إلى أن يفكر ويدرك ويسلك طرائق وأساليب تتفق مع حكم بالتفضيل، أو في الغالب عدم التفضيل لشخص آخر أو جماعة خارجية ،أو موضوع يتصل بجماعة أخرى، ويحدث هذا الحكم سابقاً بعدم توافر الدلائل المعرضة التي تشيرإلى عدم صحته لأنه ينطوي على نسق من القوالب النمطية.[80] ويُرى أن التطرف الفكري أو الديني هو التعصب لرأي معين دون غيره من الآراء الأخرى ويبعد هذا الرأي في هذ ه الحالة عن الإعتدال، بل المغالاة في التشبث بهذا الرأي والإصرار عليه أو الأفكار أو المعتقدات الدينية حتى لو كانت خاطئة أو نتيجة عدم فهم أو وعي حقيقي بالمضمون الروحي والإجتماعي لتلك المعتقدات الدينية، وطالما هذا الفكر المتطرف لم يخرج كنمط فكري إلى حيز السلوك العنيف فلا يقع تحت طائلة القانون الجنائي.[81]

78 التطرف الفكري، د. حنا عيسى ،استاذ القانون الدولي أبونا.أورغ 12 يناير 2015.

79 سعد الدين إبراهيم 1983 .مصر تراجع نفسها،ص 21، ط ١ ، القاهرة: دار المستقبل

80 معتز سيد عبد آلله 1989 .الاتجاهات التعصبية (أهم أشكالها ومدى عموميتها). الكويت: سلسلة عالم المعرفة 137،ص 77 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

81 محمد يسرى دعبس 1998.الإرهاب "الأسباب وإستراتيجية المواجهة والوقاية " " رؤية في أنثربولوجيا

أمـا إذا حصـل الـتزاوج بيـن العنـف والتطـرف الفكـري، فـذلك يولـد نهجـا إقصـائيا، لا يقتصر على عدم الإعتراف بالآخر، بل يدعو إلى محاربته.

إن خطورة هذا التزاوج تتمثل فـي قدرته الفائقة علـى دفـع الـدول والشـعوب إلـى جحيم الحروب الأهلية، على النحو الذي شهدته ايرلندا حتى وقت قريب، وذلك الذي عاشته أوروبا ما قبل معاهدة وستفاليا. علمـا أن لـدى الفرد أسـاس ثقافـة الأنـا وإقصـاء الآخـر. وعلى العموم التطرف الفكري يبلغ أعلى الهرم عندما يستبيح هدر الـدم والمـال وروح الآخـر، ويصـبح ذلـك عنـد المتطـرف نهجـا عاديـا يبيـح ممارسـته بكـل بـرودة. ترى ماهي مميزات الفكر المتطرف؟

يتميز الفكر المتطرف بالسهولة و المباشرة ، فهو لديه كل الإجابات غير الصحيحة علـى أسـئلة الواقـع المعقدة الـتي ليس لـديها إجابـات مباشـرة. إذ أنـه لا يتطلـب أي جهـد ذهني لمعالجة أي من تلك الأسئلة، فكل ما على من يعتنقه إلا أن يرجـع لـرأي مـن آراء الفقهاء النقليين معطلي العقل، ليجد الإجابة جاهزة عن سؤاله. فبالنسبة للعقل المتطرف، لا يوجد جديدالبتة، فالكون تجمد منذ القرن السابع و لم يعد يتجدد، و أي تجديد هو من محدثات الأمور، وبالتـالي هو بدعـة والبدعـة ضـلالة والضـلالة فـي النـار. لـذلك الفكـر المتطـرف، ينظـر إلـى الحيـاة بمنظـار يقسـمها للـونين أبيض و Cسود، وحلال وحـرام، وموجود في ذهنية الأسلاف مفصل و محاكم و محدد على سبيل القطع، و محدث باطـل و منكر لابد من تغييره باليد. و هذه السمة لهذا الفكر، تعفي الشباب من التفكير فـي المشكلات المستعصية الماثلة كالمشكلات الإقتصادية وأزمة البطالة و مشكلات التبعيـة لـرأس المـال العـالمي و مشـكلات السياسـة المحليـة والإقليميـة والدوليـة، لأنهـا تعطي إجابة واحدة لكل هذه الأسئلة وهي أن العودة إلى الدين قادرة على حل

الجريمة". ص 13 الأسكندرية: دار المعارف.

جميع المشكلات. أي أن هذا الفكر المبسط للقضايا المعقدة الراهنة، يعفي الشباب من التفكير الجاد ، و يعلمهم الكسل الذهني، و يبشرهم بأن علاج جميع المشاكل هو فرض دولة الخلافة على المجتمعات الإسلامية.[82] كذلك يتميز هذا الفكر بدائرية تجعله غير قابل للنقض وفقاً لمنطقه، فهو من ناحية يمتلك كل الإجابات لكل الأسئلة، ومن ناحية أخرى يربط كل نشاط معتنقه السياسي و المجتمعي بالغيب و إرادة السماء فيعفي محازبه من تبعات أفعاله و يجعله ينسبها إلى إرادة الله عز وجل، و ينسب كل ما يعترضه من فشل و إخفاقات و عقبات إلى الإبتلاء والإمتحان الإلهي من ناحية ثالثة. ولذلك فإن المتطرف لا يرى عيوبه بإعتبار أنه في مطلق الأحوال يجد نفسه في إحدى هذه الحالات الثلاث أو فيها مجتمعة. فهو من ناحية مجرد آلة تنفذ إرادة الله و أوامره بإقامة الدين و إعمار الأرض عبر سياسة الدنيا، و لا يقوم الدين في ذهنه إلا بدولة مطابقة للدولة التي أقامته إبتداءاً لأنه يؤمن بأن التاريخ يجب أن يعيد نفسه و أن يستمر بنفس الصورة إلى أن تقوم الساعة. وهذا يعطيه رضا و سلاما داخليا، يمنعه من رؤية ما يرتكبه من جرائم و بشاعات يندى لها جبين الإنسان، من ذبح للبشر و إسترقاق لأهل بلاد لا علاقة له بها من قريب أو بعيد، لمجرد أن أهل هذه البلاد لا يوافقونه فكرته بأن الله يريد لهم أن يعيشوا كما عاش البشر في القرن السابع الميلادي. أيضاً يملكه هذا الفكر يقيناً بالصحة المطلقة لأفكاره حتى و إن لم تتحقق أو قوبل بهزائم يسميها فكره إبتلاءات، كما يعزز إيمانه بالنصر الحتمي الذي يدفعه لمزيد من العنف و إرتكاب مزيد من الجرائم.[83]

المنتمي لهذا الفكر، يلغي كل منجزات البشرية الفكرية و كل ما أنجزه العقل الفلسفي الإنساني، و لا يكتفي بذلك بل يصادر كل منجزات العقل العلمي التطبيقي و ينسبها إلى الدين. وهو في ذلك يلاقي عقل الإسلام السياسي الذي يدعي التحديث و في نفس الوقت يحاول أن يصادر العلوم التطبيقية و الإنسانية لأسلمتها عبر إدعاء التأصيل و أبحاث الإيمان و ما إلى ذلك من الإدعاءات. لذلك نراه في المنظمات المتطرفة الراهنة لا

82 الإسلام السياسي و التطرف الديني (قراءة أولى و محاولة للفهم) بقلم د.أحمد عثمان عمر 8 غشت 2015.
83 الإسلام السياسي و التطرف الديني (قراءة أولى و محاولة للفهم) بقلم د.أحمد عثمان عمر 8 غشت 2015. بتصرف

يستنكف عن إستخدام التكنلوجيا الحديثة، ويركز على التجنيد عبر و سائط التواصل الإجتماعي ، و يركز في دعايته السياسة على المواقع الإلكترونية، في حين أنه في القرن الماضي كان يكفر الحاكم لمجرد قبوله إستخدام التلكس و التلغراف. فالفكر المتطرف الراهن على عكس سلفه، وعى أهمية المعرفة و منجزات البشرية لا للتصالح معها و لكن لمصادرتها لمصلحة مشروعه و إستخدامها لهزيمة العقل الذي أنجزها بترويج التاريخ على حساب المستقبل، و إستدعاء الماضي حرفياً لتمثيله اليوم لمصادرة هذا الحاضر.[84]

5.5.1 التطرف السياسي:

و التطرف قد يكون موجوداً أيضاً في المجال السياسي ، فقد يكون رجل السياسة متسلطاً لا يقبل الحوار أو الرأ ي الآ خر ، أو ترفض جماعة سياسية الحوار مع مخالفيها ، أو تتمسك بفكرة أو مجموعة أفكار صماء أو جامدة ويرتبط التطرف هنا بمحاولة أقلية جامدة فكرياً أن تفرض رؤيتها وأسلوبها في التفكير علي الأغلبية وهذا التطرف يولد مشاعر متزايدة من الإحباط والكبت السياسي ، وفقدان الثقة بين المشتغلين في هذا المجال.[85] ونجد من أشهر التيارات السياسية المتطرفة:

1.5.5.1 اليمين المتطرف:

إن صعود اليمين المتطرف في مرحلة ما، لا يعني ظهور تيار سياسي "يميني متطرف" مستدام، بل يعني تضخم موجة إحتجاج شعبية قوية ضد سياسات القوى التقليدية، وسرعان ما تضمحل هذه الموجة عند ظهور بديل منهجي يرجح نجاحه عبر ممارسة السلطة مستقبلا. لا يصح إذن التسرع في استشراف تأثير "موجة الصعود المؤقتة" على الوجود الإسلامي في أوروبا، بل ينبغي أولا استيعاب ظاهرة "اليمين المتطرف" واستشراف مستقبلها عموما، وهو ما يتطلب نظرة منهجية أعمق في البنية

84 المصدر نفسه.
85 حسين رشوان مصدر سابق ص 19.

الهيكلية للأوضاع السياسية وتوجهاتها، وبالتالي لخلفيات صعود التطرف اليميني وهبوطه.

ومن العوامل التي أدت إلى تصاعد التيارات اليمينية المتطرفة بأوروبا باختصار شديد:

- **<u>الوجه الآخر للرأسمالية:</u>** "تنامي فوارق المستوى المعيشي بين نسبة سكانية محدودة، تشمل فئات شعبية في ذروة الثراء المالي، والميزات الضرائبية وامتلاك أسباب القوة المادية المؤثرة على ما سواها، وبين نسبة سكانية عريضة تشمل فئات شعبية متضررة ماديا ولا تملك أسباب القوة المؤثرة على صناعة القرار السياسي والإقتصادي، كالمتقاعدين والعاطلين عن العمل والعمال بأجور زهيدة وغيرهم، وغالبا ما ينتشر توصيف ذلك إجمالا بتعبير تقلص الطبقة الوسطى"[86]

- **<u>العزوف عن السياسة والسياسيين:</u>** تكرار خيبات الأمل كلما تحول الناخب الأوروبي من تأييد أحزاب يمينية أو يسارية لم تحقق وعودها إلى أحزاب من الطرف الآخر، إذ لا تتغير الحصيلة النهائية على صعيد الوضع المعيشي العام، ومن هنا انتشر "العزوف عن السياسة والإنتخابات" عموما، ولكن لم يبد ذلك خيارا بديلا بين الإتجاهين جوهر المشكلة،[87] واقترن هذا العزوف بثغرة "التصويت الإحتجاجي"، أي لصالح أحزاب لا يوجد في برامجها ما يصلح لممارسة السلطة، وغالبها من اليمين المتطرف، فكان المقصود الأهم من تأييدها الإحتجاج على الأحزاب التقليدية وسياساتها.[88]

86 يشير إلى هوة الثراء والفقر في الدول الأوروبية تقرير من ٩ /٩ /٢٠١٥م (أي في فترة ذروة الصعود اليميني المتطرف) نشرت منظمة أوكسفام، ومن أن ١٠ في المائة من السكان يمتلك زهاء ٦٩ في المائة من الثروات، وأن ٤٠ في المائة من السكان يمتلك ١ في المائة فقط.

87 خيار بديل بين الاتجاهين جوهر المشكلة، واقترن هذا العزوف بثغرة "التصويت الاحتجاجي"، أي لصالح أحزاب لا يوجد في برامجهاما يصلح لممارسة السلطة، وغالبها من اليمين المتطرف، فكان المقصود الأهّم من تأييدها الاحتجاج على. الأحزاب التقليدية وسياسات (الشواهد كثيرة على العزوف السياسي وبالتالي عن التصويت في "انتخابات ديمقراطية"، ومنها أثناء إعداد هذا البحث هبوط نسبة المشاركين في الجولة الثانية للانتخابات النيابية الفرنسية إلى حد أدنى قياسي، حوالي 43 في المائة.

88 لا ينقطع الحديث عن خلفيات "العزوف السياسي" في أوروبا عبر الدراسات ووسائل الإعلام منذ سنوات عديدة: مثال: "كلاوس كريستوف"، دراسة "العزوف عن السياسة"، إصدار "المركز الاتحادي للتوعية السياسية"، 6 /1 / 2012م مثال: "توماس لايف"، تحليل "ما هي أسباب ضعف شعبية السياسيين الألمان"، أسبوعية "دي تسايت"،

- **<u>مفعول التوجيه المادي لصناعة الرأي العام:</u>** تسارع انخفاض نسبة التأهيل المعرفي والوعي السياسي عند الفئات الشعبية العريضة المتضررة معيشيا وهذا ما سهل التأثير عليها بالوعود غير المضمونة، والموصوفة بالشعبوية، أي تلك التي لا تكمن وراءها قدرات فعلية أو برامج مدروسة قابلة للتطبيق، وعلى هذا المرتكز ظهرت ثغرة "تأييد أحزاب شعبوية".[89]

- **<u>صعود شعبوي واضمحلال مؤكد:</u>** يقوم الخطاب اليميني المتطرف على إطلاق وعود مغرية تجاه المحرومين من فئات شعبية متضررة من ازدياد "توحش الليبرالية الجديدة"، وعلى استثارة النزعات القومية والوطنية، أما وصف هذه الوعود بالشعبوية فيرتبط بتحميل سياسات الأحزاب التقليدية "بحق" المسؤولية عن تردي الأوضاع المعيشية، ولكن دون طرح بدائل منهجية. بتعبير آخر لا يعتمد صعود اليمين المتطرف على قوة ذاتية تحول التأييد المؤقت إلى مستدام، ولهذا سرعان ما يضمحل عندما يظهر طرح بديل يعد بتغيير منهجي، حتى وإن كان نجاحه أو إخفاقه في غيب المستقبل، كما كان الحال عليه في الإنتخابات الفرنسية عام 2017م، إذ جاء انخفاض تأييد اليمين المتطرف مناقضا لانتشار المخاوف في مطلع العام نفسه، عندما شهدت وسائل الإعلام الأوروبية ما يشبه التسابق على نشر التنبؤات بازدياد صعود اليمين المتطرف، لا سيما في البلدان الأوروبية الأربعة التي تشهد إنتخابات عامة في ذلك العام، هولندا وفرنسا وألمانيا والنمسا.[90]

31/12/2016

89 ظاهرة ارتباط الفقر بضعف المعرفة والوعي ظاهرة قديمة تتفاقم مع ازدياد هوة الفقر، ومن ذلك تفاقمها قبيل صعود اليمين المتطرف، أي في مطلع القرن الميلادي الحادي والعشرين، التفاصيل في دراسة بعنوان "فقر المعرفة – الآثار والأسباب والعلاج" 29 /6 /2007م، إعداد ثلاثة باحثين في "المركز الاتحادي للتوعية السياسية"

90 أثر صعود اليمين المتطرف على مسلمي أوروبا، وكيف يتعامل المسلمون مع التطرف اليميني، دراسة بقلم نبيل شبيب، المركز العربي للدراسات الإنسانية. ص 6-7

2.5.5.1 اليسار المتطرف:

أو "أقصى اليسار" تسمية لقطاعات من الطيف السياسي بأوروبا والعالم تتبنى تأويلات متطرفة للفكر اليساري ولآراء قادته ومنظريه الأوائل مثل ماركس ولينين وتروتكسي وماو تسيتونغ، وقد تحمل السلاح لتحقيق أهدافها.

تنزع حركات أقصى اليسار غالبا إلى عدم الإنتظام في الحياة السياسية الحزبية الناظمة للديمقراطية الليبرالية، وتُؤثر التحرك عبر تعبئة الشارع في المناسبات، كما تنزع أحيانا إلى العنف المسلح. ومن شواهد ذلك التنظيمات اليسارية المسلحة التي ظهرت في أوروبا خلال سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، ومنها جماعة "الألوية الحمر" التي ظهرت في إيطاليا عام 1970 وبثت الرعب في أنحائها ما يقارب العقدين، و"مجموعة العمل المباشر" التي تبنت عشرات الإعتداءات والإغتيالات في فرنسا خلال 1979-1987، وكانت تتبنى النظرية "الفوضوية الرافضة لكل أشكال التنظيم الإداري والسلطة.

إزدهرت فكرة اليسار وأخذت قوامها في القرن التاسع عشر، فقد ألهمت كتابات كارل ماركس، خاصة في التاريخ وحول رأس المال والطبقات والإشتراكية والمساواة، فئات واسعة من الشباب الحالم بالعدل وبالتخلص من الرأسمالية في أوروبا، كما كان لها صدى قوي لدى الطبقة العاملة التي تشكو التهميش والإستغلال ولا تتمتع غالبا بأبسط الحقوق. ومع بداية القرن العشرين عرف اليسار إزدهارا غير مسبوق مهدت له الثورة البلشفية في روسيا، حيث أقام لينين نظاما شيوعيا (سُمي اللينينية) يستند إلى الإشتراكية لدى ماركس، كما كانت له نزعة إلى "العنف الثوري" الذي بشَّر به بعض القادة البلاشفة خلال الثورة على القياصرة في روسيا. وإثر وفاة لينين باشر خلَفه جوزيف ستالين عملية تصفية واسعة لخصومه السياسيين من قيادات الصف الأول في عهد لينين، وعلى رأسهم ليون تروتسكي الفيلسوف المثقف ورجل ثقة لينين الذي كان يُعتقد

أنـه خليفتـه علـى رأس الاتحـاد السـوفياتي، وبعـد إقصـاء تروتسـكي نشـأ تيـار سياسـي وفكري تسمى باسم "التروتسكية". وقد أعطت النزعة الدموية المتنامية لنظام ستالين وجاهة أكبر للتيار الجديد الذي شكل في العقود اللاحقة ما عُرف بـ"أقصى اليسار" أو اليسار المتطرف. [91]

3.5.5.1 التطرف السياسي الديني:

المتتبع للتيارات السياسية المتطرفة يجد أن: "عمليات الدعوة إلى تطبيق الشريعة أو تطبيقها بالفعل هي تعبيرات سياسية وإجتماعية متعددة تعبر عن جماعات وقيادات محافظة تسعى لإسترداد السلطة أو التمسك بها، وسلطات سياسية تبحث عن الشرعية، وحركات سياسية معارضة تسعى لإضعاف السلطات وإحراجها فتزايد تلك عليها، وحركات قومية ووطنية وإستقلالية ترى في الشريعة مظلة لمواجهة الاستلاب والغزو والإحتلال، وإطارا للإستقلال وبناء المشروع الحضاري الخاص بالأمة". [92] الفعل السياسي الديني المتطرف يمس كل الديانات ف " صعود اليمين الديني في الولايات المتحدة لم ينشأ من داخل المجتمع المدني، ولكن بواسطة مجموعة من العاملين بالحزب الجمهوري والأثرياء الذين سعوا إلى استخدام الكنائس المسيحية للحد من أهمية الإعتبارات الإقتصادية كأساس للتصويت يتخذه الأمريكيون الفقراء. وقد عمل زعماء الدول العلمانية والمسؤولون السياسيون على تطبيع أيديولوجيات دينية رجعية، وساعدوا على وصول الأفكار والنشطاء المرتبطين بالحركات الأصولية، والأمر نفسه برأي سكوت هيبارد جرى في مصر والهند.[93] ولم يكن انبعاث السياسة الدينية رد فعل للتجاوزات التي جرت في حقبتي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ولكنه نتاج لإستراتيجية الحزب الجمهوري لإستقطاب المتدينين، وقد نفذت

91 اليسار المتطرف، أقصى اليسار، موسوعة الجزيرة.

92 سامي زبيدة: الشريعة والسلطة في العالم الإسلامي/ تأليف سامي زبيدة. ترجمة عباس عباس، بيروت: دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2007

93 سكوت هيبارد: السياسة الدينية والدول العلمانية، مصر والهند والولايات المتحدة الأمريكية/ تأليف سكوت هيبارد، ترجمة الأمير سامح كريم، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، 2014.

ذلك في حقبة التسعينيات شركات للعلاقات العامة ومراكز بحوث نجحت في إقناع الطبقة الكادحة أن مشكلاتهم هي نتاج للثقافة المتحررة وليست نتيجة للرأسمالية التي أعقبت الثورة الصناعية.

واستخدم حزب المؤتمر الهندي بعد عقود من السياسات العلمانية الدين لدعم سياساته الطائفية، وعلى سبيل المثال لم تكن أحداث العنف المناهضة للسيخ، والتي أعقبت حادث اغتيال أنديرا غاندي (1984) اندفاعا تلقائيا نتيجة لمشاعر الحزن والأسى، ولكنها رد فعل منظم من قبل زعماء حزب المؤتمر لتذكير السيخ بوضعهم الثانوي داخل المجتمع الهندي.. واستخدمت عوامل الخوف من الإرهاب والإنفصاليين لدعم استراتيجية الحزب.[94]

أما التطرف السياسي الديني اليهودي، فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بنشأة الكيان الصهيوني وله مقومات من بينها:

- **<u>النصوص</u>**: إذ أن الحروب في نظر اليهود أمر إلهي يبارك من يعلنها، فتجد في كتبهم الدينية نصوصا كثيرة تحض على كراهية الآخرين، وعلى سفك الدماء وقتل الرجال والنساء والأطفال، فهم شعب الله المختار وأبناؤه، أما باقي الشعوب فما هم إلا عثرة في طريق نجاح وتقدم المجتمع اليهودي يجب إزالته ليستمر النجاح.

- **<u>جماعات و أحزاب متشددة متزمتة:</u>** إن نسبة التدين بين اليهود عالية كما أن نسبة المتشددين أيضا ليست بالقليلة، وبالطبع فإن هذه الطوائف والجماعات والأحزاب الدينية أيضا تسعى جميعها لعكس فكرها ورؤيتها الدينية على المجتمع والحكومة الإسرائيلية، لكن هذه الأحزاب والطوائف جميعها تشترك في أن الكيان الصهيوني يجب أن يتخذ من التوراة ومن فتاوى كبار الحاخامات

94 إبراهيم غرايبة،"السياسة الدينية والدولة العلمانية".. لماذا ظلّ الدين مؤثراً؟ قراءة في كتاب سكوت هيبارد "السياسة الدينية والدولة العلمانية: مصر والهند والولايات المتحدة الأمريكية"2018-04-16.

دستورا ومنهجا للدولة، كما يشتركون أيضا في معاداتهم للأحزاب العلمانية والليبرالية باعتبارهم يقودون الدولة الإسرائيلية والمجتمع اليهودي للإنحلال ونبذ التوراة والتعاليم الدينية.

لقد كان لتواجد الأحزاب الدينية والجماعات المتطرفة والأصولية الدينية المتشددة التأثير الكبير على فكر الأفراد وتصرفاتهم، فأكبر مثال على ذلك ما قام به الطبيب اليهودي "باروخ جولدشتاين" الذي كان يرفض مداواة غير اليهود.. حيث قام هذا المتطرف يوم 25-2-1994 بإطلاق النار من سلاحه الآلي على المصلين في المسجد الأقصى فجر الجمعة في منتصف شهر رمضان والذي صادف أيضا " يوم بوريم " وهو عيد للحاخامات اليهود، حيث يبدو أن جولدشتاين أحب أن يقدم جثث المصلين المسلمين كهدية بمناسبة هذا اليوم الديني المبارك. الأدهى من ذلك أن جولدشتاين أصبح في نظر المتدينين اليهود بطلا وشهيدا.[95]

۞ ۞ ۞

95 أيمن خيري العقرباوي،أصول الارهاب في الفكر اليهودي، مدونات الجزيرة.8/7/2017.

6.1 العلاقة بين الإتجاه نحو التطرف والعنف

التطرف كظاهرة هو نوع من القلق الزائد الذي يعاني منه المتطرف إما لفراغ فكري، أونظرة تشاؤمية، أوطاعة عمياء لأحد القادة، والعنف ماهو إلا أحد وسائل التطرف الظاهرة ومعروفة الأهداف على مدى المراحل التاريخية بنفس الأفكار والأهداف والوسائل.[96]

إرتبط مفهوم التطرف بالعنف ارتباطا وثيقا ، ظهرت ملامحه مع بداية العقد السابع من هذا القرن، مع تنامي الجماعات الدينية التي استخدمت التشدد والمغالاة في تفسيرها لبعض النصوص الدينية، وانعكس المنهج الفكري على سلوكيات بعض الجماعات واتسمت تصرفاتهم بالعنف والإجرام ، ولقد اختلفت التوجهات والدراسات في ربط التطرف بالعنف، وهنا فإن إرتباطهما على طول المدى أمر غير مقبول ، وانفصالهما يعني عدم الموضوعية، لأن إقتران التطرف بالعنف فيه تجاهل لإيجابية أحد أبعاد التطرف المرغوب وإتهام لمشروعية العنف المقبول، فليس كل فرد ينتهج منهجا فكريا أو أيديولوجية أو فلسفة يؤمن بها يوصف بالتطرف الفكري حتى وإن وصف بذلك، قد لا يسلك سلوكا عنيفا لفرض ما يؤيده، وقد يلجأ الفرد دون فكر أو أيديولوجية نظرية يعتنقها، إلى سلوكيات عنف بأسلوب مأجورأو بغرض المتعة دون تطرف في إطاره الفكري.[97]

إ ختلفت التصورات الفلسفية في تحديد طبيعة العنف بين تفسيرين، يذهب الأول إلى التأكيد على أن الإنسان كائن عنيفا بالطبع، ما يعني أن العنف سلوك متأصل في طبيعة الإنسان، ويعد الفيلسوف هوبز أحد أبرز ممثلي هذا الإتجاه، ففي كتاب "اللفياثان" يعتبر أن " الأسباب التي تقف وراء الحرب والصدام بين الناس الذين ينزعون بطبعهم

96 محمد أحمد بيومي, مصدر سابق ص 86.

97 وفاء البرعى 2001 .دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري والعنف لدى الشباب في المجتمع المصري. رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الإسكندرية. ص 11-113.

الشرير إلى العنف والعدوان (التنافس، الحذر، المجد) ترجع كلها إلى طبيعة الإنسان"[98] ما لم يجد قوة عليا تجبره على التنازل والخضوع، وهو رأي يتبناه الكثير من المفكرين والفلاسفة أمثال (اسبينوزا وكانط وهيجل وفرويد) الذين يفسرون تطور الحضارة البشرية برغبتها في الحد من العنف والتحكم فيه بشكل يضمن تعايش البشر وسلمهم وأمنهم، وهي الغاية التي قادت إلى تطور طرق التربية والتنشئة الإجتماعية والأساليب القانونية لكبح وإخضاع الميولات العنيفة التي تحملها طبيعة الإنسان.

غير أن التأصيل الطبيعي للعنف، لا يلغي أبدا وجاهة التفسير الثاني الذي يبرئ ساحة الطبيعة، ويرجع العنف البشري إلى الأسباب والعوامل الثقافية التي يتداخل فيها الإجتماعي والإقتصادي والسياسي، ويعد الفيلسوف جان جاك روسو من أهم من دافعوا عن هذا الرأي؛ ففي كتابه "دين الفطرة" يرى أن منبع كل الشرور والشقاء هو توظيف الإنسان لمواهبه بطريقة سيئة، ولذلك عليه أن يتأكد من أن كل الشرور مصدرها الثقافة/ الحضارة البشرية، وليس الطبيعة التي جبلت على الخير" لنغفل ما ابتدعه الإنسان ظنا منه أنه تقدم ورقي، لنغفل أخطاءه ورذائله وكل مبادراته الخادعة، عندها لن نرى في الكون كله إلا الخير"[99]

ولذلك فإن وجود العنف في المجتمع البشري تحركه أسباب إجتماعية تارة وسياسية/اقتصادية (الصراع الطبقي كمحرك للتاريخ) تارة أخرى، ويستدل دعاة هذا الطرح بتنوع و إختلا ف أساليب وتقنيات وحدة العنف بإختلا ف وتنوع المجتمعات والثقافات، ومهما تكن طبيعة العنف (فطرية أم ثقافية) فإن التجليات التي يتمظهر بواسطتها في الواقع تكشف تعدد وتنوع محركاته ودوافعه التي تتراوح بين ما هو سياسي وما هو إقتصادي وما هو ديني/مذهبي/طائفي...

98 توماس هوبز »اللفياثان«، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حداد، حبيب حرب، وبشرى صعب، مراجعة وتقديم رضوان السيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والترجمة، ص 134.

99 دين الفطرة، جان جاك روسو، ترجمة عبد هلالا العروي، المركز الثقافي العربي، الطبعة ألولى، ص 59.

1.6.1 بعض التوجهات التي تفسر ارتباط العنف بالتطرف :

يقول " بروكنر " قد يصل المتطرف إلي نهاية مقياس الإعتدال بسبب أساليب قمعية يقوم بها النظام ضد معتنقي هذا الفكر و يتحول المتطرف من الفكر أو السلوك المظهري إلى العمل السياسي، وهنا يلجأ إلى إستخدام العنف لتحقيق المبادئ التي يؤمن بهاهوأوجماعته الدينية أو السياسية أو الفئوية. [100]

وعندما تستطيع " الجماعة المتطرفة " أن تحقق الإنتصارات التي يؤمن بها الفرد أو تمتلك وسائل العنف والقوة فإنها قد تلجأ سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي أو الدولي إلى إستخدام وسيلة الإرهاب الفكري أوالنفسي أو المادي ضد كل من يقف عقبة لتحقيق أهدافها.[101]

وأكثر أشكال التطرف التي يرتبط العنف بها هما التطرف الديني و التطرف السياسي. إرتباط التطرف الديني بظاهرة إستخدام العنف كوسيلة لتحقيق الأفكار التي يؤمن بها المتطرفين ، والعنف ما هو إذن إلا وسيلة تستخدم لأغراض دينية أو سياسية أو يكون عنفا تلقائيا لبعض المشكلات اليومية التي يعاني منها الإنسان (...) ولكنه وسيلة عامة يستخدمها الشخص عندما يكون في وضع قوة أو ضعف ، يحاول فيه أن يحقق ما يعتقد بالقوة بعد أن فشل في إستخدام الفكر أو الحجة ، فالعنف وفيما بعد الإرهاب يبدأ في الفصل وتتحول الفكرة التي يؤمن بها الشخص إلى فعل عدواني ضد الأفراد أوالمجتمع.[102]

100 سعيد طه محمود وسعيد محمود مرسى 2001. الأبعاد الاجتماعية والتربوية لظاهرة التطرف والعنف في المجتمع المصري "دراسة تحليلية نقدية ". مجلة كلية التربية، الزقازيق، ع 38، ص 6

101 محمد أحمد بيومي, مصدر سابق ص 5.

102 محمد أحمد بيومي المصدر نفسه. ص 100.

2.6.1 العوامل التي تؤدي إلى الإرتباط بين التطرف و العنف

- **العنف عبارة عن سلوك عدواني بين طرفين متصارعين** يهدف كل منهما إلى تحقيق مكاسب معينة أو تغيير وضع إجتماعي معين ، والعنف وسيلة لا يقرها القانون ، فمن الملاحظ من يستخدم العنف يكون غالبا الطرف الأضعف الذي يواجهه طرفا آخر يملك السلطة.

- **المناخ ساهم بالتعجيل لنشوء مثل هذه المنظمات،** أكثر من هذا فإن الموقف السياسي هو الذ ي حدد الموقف الديني ، فالمسألة ليست خطأ في فهم الدين أو أن الشباب هو الذي ينقصه الوعي الديني، فالعنف ظاهرة سياسية وإجتماعية قبل أن تكون دينية، وقد اتخذت الدين لتحويل الفكر إلي سلوك .

- **العنف وسيلة تستخدم لتحقيق أهداف سياسية أو إقتصادية أو دينية** ، وقد يصل العنف إلى حد الإرهاب ، فالإرهاب صورة خاصة لا يمكن فهمه إلا من خلال فهم العنف ، ولكن يجب ألا نخلط بينهما.

- **العنف هو موضوع له جوانب كثيرة ومتشابكة** ، والعنف المرتبط بالجماعات المتطرفة قد ارتبط بالإيمان وليس عنف الفرد الذي يعلم أنه يرتكب جريمة .

- **لا يمكن فهم العنف بمعزل عن الموقف الفعلي الذي يحرص على العنف ،** فمناقشة هذا الفكر هامة حتى ولو خلا من العنف، لأن هذا الفكر قائم على إلغاء العقل والإستسلام للمسلمات دون مناقشة، وعلى الفرار من المجتمع وتعطيل الفكروالعقل.

- **أن الذين يقومون بالعنف من الشباب الصغير،** الذي ينتمي إلى الطبقات المطحونة إقتصاديا أو الطبقة الوسطى.

- **إن العنف كوسيلة لحل المشكلات الإجتماعية والسياسية هو صدى لعوامل خارجية**، فلا يمكن أن نعزل ما يحدث في العالم الخارجي وما يعاني به المجتمع داخليا من ضغوط خارجية .

- **يمكن تفسير ذلك بالرجوع إلى ازدواجية الشخصية العربية** بين ما هو مثالي وبين التطلع للمستقبل فهناك أنماط معيارية تؤدي بالشباب إلى التعقد الشديد ويتدخل الحاضر بكل ما فيه من خلل ليؤدي إلى انفصام بين المثل والواقع أو بين القول والفعل.

- **وكذلك ازدواجية الهوية والأيدلوجية للمجتمع** ، فتردد المجتمع بين الناصرية والإشتراكية والشيوعية و الفكرالإسلامي كل ذلك جعل الشباب حائرا بين هذا وذاك، كذلك طبيعة التنظيم السياسي قد فرضت ضغوطا معينة أدت إلى إحباط نتج عنه عدوان ضد المؤسسات والأوضاع القائمة في المجتمع، كل هذا في غياب إطار أيدلوجي لجذب الشباب وإستيعاب طاقاته، فالشباب يتفاعل مع واقع المجتمع وليس منعزلاً عنه .

- **الإحباط مرتبط بإحباطات أخرى فرضتها الأوضاع الإجتماعية**، فزادت معدلات الإحباط بين الشباب الذي غاب عنها الأمل في مستقبل مهني وأسري ، فالإحباط والشعور بالقلق نتيجة عدم الشعور بالإستقرار والأمان، ساعد على إستقطاب العديد من هؤلاء الشباب للحركة الإسلامية المتطرفة، وتحول الإحباط من كونه ذاتي إلى رفض إجتماعي يعبر عن مضمونه بالعنف.

- **إن إنتماء الشباب لتلك الجماعات الإسلامية هو بديل لما يعانيه هؤلاء الشباب من الحرمان النفسي**، فعلاقة العضو بأمير الجماعة " شعور نحو أب " وهو ليس شعور بقيادة دينية فقط ، إنه شعور كمن لقي أيدي أمه الحنون.[103]

103 محمد أحمد بيومي المصدر نفسه. ص 102- 100.

7.1 الإرهاب وأشكاله:

تعد ظاهرة الإرهاب المتزايدة في العالم من أخطر أشكال التهديدات الأمنية التي تواجه الدول لأنها تستهدف في جانب مهم منها أمن وإستقرار ومستقبل مجتمعاتها لاسيما إذ جمع الفعل الإرهابي بين مطامع وأهداف القوى الخارجية التي لا تريد إستخدام أدواتها المباشرة وإنما بالإعتماد على محركات في خلق الأزمات داخل الدول المستهدفة أو إستغلال حدودها أو الظروف السياسية المحيطة أو في أحيان أخرى تفرق في لحمة ونسيج المجتمع داخل تلك الدولة. وقد يشجع فئة من فئاته إلى سلوك يلحق الضرر في المجتمع مما يهدد سلامته بما في ذلك إستخدام العنف وصولا لتحقيق أهداف سياسية أو مصالح فئوية قد تنعكس في جانب منها خدمة لأطراف خارجية إقليمية أو دولية.[104]

وتتعدد أشكال الإرهاب وأنماطه وفقا لتعدد الباحثين الذين تناولوا الظاهرة وإختلاف مشاربهم الفكرية والمرجعية والزاوية التي ينظر بها كل منهم إليه، فيذكر البعض أشكالا متعددة للإرهاب دون أن يستند إلى معيار محدد في حين يعدد البعض الآخر أشكالا للإرهاب على أساس معايير مختلفة منها: المعيار التاريخي والفاعلون، النطاق والطبيعة مضيفا إليها الإرهاب الفكري والإرهاب النفسي، ومن جانبنا سوف نتناول أشكال من خلال النظر إليه في جوانبه الثلاثة (الفاعل والهدف والنطاق).[105]

1.7.1 الإرهاب بحسب القائم به:

يمكن تقسيم الإرهاب من حيث القائمين به إلى نوعين رئيسيين هما إرهاب الدولة وإرهاب الأفراد والمجموعات ومع ذلك قد يحدث تداخل بين هذين النوعين، فالدولة ترتكب الإرهاب بنفسها أو بواسطة دعمها لبعض الأفراد أو الجماعات لتضعف بعض الدول الأخرى المنافسة ، كما أن الجماعات الإرهابية إذا نجحت في السيطرة على مقاليد السلطة قد تستمر في إستخدام العنف والإرهاب وهذا ما حدث في عهد الثورة البولشوفية.

104 الدليمي، عبدالرزاق محمد (2010م) الدعاية والإرهاب، ص 17 الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان
105 سعيد بلوغ، نقد لقانون الإرهاب، أشكال الإرهاب.

وسوف نتناول النوعين كما يلي:

1.1.7.1 إرهاب الدولة:

تاريخيا، عرف "إرهاب الدولة" خلال القرنين الماضيين كإرهاب إستعماري، عنصري / سياسي، حصد في أمريكا اللاتينية وفي إفريقيا والشرق الأوسط، عشرات الملايين من الأبرياء. و"إرهاب الدولة" يتجاوز في عنفه ووحشيته مختلف الأعمال الإجرامية العمدية ضد الشعوب والدول، ويتجاوز أعمال التخريب ضد المنشآت والمصالح والمصانع والمختبرات العلمية والمدارس والجامعات والتجمعات السكنية، ليصل إلى سحق الدول وشعوبها و حضاراتها وثقافتها وهوياتها على مرأى ومسمع من الضمير الإنساني.[106]

في القرنين الماضيين، إستعملت أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل هذا الصنف من الإرهاب، ضد شعوب المستعمرات، وضد دول ذات سيادة، كأسلوب من أساليب الصراع السياسي، يهدف تحقيق مصالح مادية أو عسكرية أو إستراتيجية، وما تزال الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل حتى اليوم، تعتمدان هذا الصنف من الإرهاب لتحقيق أغراضهما. هذا الصنف من الإرهاب الذي اتخذته العديد من الدول منهجا لنظامها السياسي (إرهاب الدولة في اسبانيا بزعامة الجنرال فرانكو / إرهاب الدولة في ايطاليا بزعامة موسوليني / إرهاب الدولة في ألمانيا بزعامة هتلر / إرهاب الدولة بيوغسلافيا بزعامة ميلوسوفيتش / إرهاب الدولة بفلسطين بزعامة قادة إسرائيل).[107] وتعد جريمة إرهاب الدولة، من أخطر صور الإرهاب، لأن ارتكابها، يتم من دول لها إمكانيات، تفوق بكثير إمكانيات الأفراد، والمنظمات الإرهابية، إلا أن المجتمع الدولي، لم يتصد لهذه الجريمة، بشكل فعال، ويرجع ذلك، إلى أن معظم مرتكبي جريمة الإرهاب، من الدول الكبرى، ذات التأثير السياسي الكبير، على

106 محمد أديب السلاوي، إرهاب الدولة أم دولة الإرهاب...؟ جريدة العلم 10 - 02 – 2017.
107 المصدر نفسه.

المنظمات الإقليمية والعالمية، مما يحول دون اتخاذ موقف دولي، تجاه تجريم تلك الأعمال الإرهابية.

وعلى الرغم مما تفعله الدول الكبرى من ممارسات، ودعم للإرهاب، إلا أن المجتمع الدولي، قد أقرعدم شرعية، تلك الأعمال، التي تمارسها الدول فيما بينها، حيث أصدرت الجمعية العامة، للأمم المتحدة قرارا برقم 159/42 في السابع من ديسمبر لعام 1987، أدان كافة الأعمال الإرهابية، بما فيها الأعمال، التي تتورط الدول في إرتكابها، بشكل مباشر، أو غير مباشر، مشيعة العنف، والإرهاب الذي يهدد السلم، والأمن الدوليين، ويعرضهم للخطر.[108]

2.1.7.1 إرهاب الأفراد والمجموعات:

ومن أبرز أشكال هذا النوع إرهاب الشركات والمشروعات، والذي يحدث من جانب جماعات الإجرام المنظم التي تزاول تجارة إجرامية في السلع والخدمات غير المشروعة، فقد تمارس هذه المجموعات أعمال عنف وترهيب حيال المنافسين في مجال الأعمال لإرعابهم، والهيمنة على السوق كما أنها قد تستخدم العنف ضد السلطات الحكومية، وسلطات إنفاذ القانون التي تحاول عرقلة أنشطة هذه المجموعات، وقد يكون السبب والدافع وراء ارتكاب الأعمال الإرهابية شخصي بحت كالأعمال الإرهابية التي يقوم بها مريض نفسي تحت تأثيرعامل نفسي أوالأعمال التي يقوم بها فرد أوجماعة للإبتزازوالحصول على المال.[109]

2.7.1 أشكال الإرهاب بحسب الهدف:

1.2.7.1 الإرهاب الأيديولوجي:

هو الإرهاب النابع عن أعراف ونظريات دنيوية موضوعة. تعتبر الأيديولوجية الشيوعية من أكثر الأيديولوجيات المنتجة للعنف الأيديولوجي، ويعزى ذلك إلى فكرها الثوري المبني على فكر الهيمنة المنفردة على جميع الأفكار والأنظمة الأخرى.

108 أحمد بسيوني، إرهاب الدولة المنظم.. إسرائيل نموذجا حيا! 08 يونيو، 2018.
109 الترتوري، محمد عوض؛ وجويحان، أغادير عرفات (2006م) علم الإرهاب الأسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب، الطبعة الأولى، مطابع الحامد، عمان.

هذا الفكر الذي يصفه البعض بـ «المتحجر» يدفع الإرهابيين الباحثين عن أيديولوجية غير دينية لرفع رايته. كما أن التاريخ حافل بأمثلة على الإرهاب المؤدلج قوميا، وفي بعض الأحيان يكون هذا الإرهاب قوميا يساريا وفي بعض الأحيان يكون قوميا يمينيا أو دينيا، وفي تلك الحالات يعتبر أسلوب القتل والتدمير المنافي للأخلاق الإنسانية هو الرابط المشترك بينها.

لا يتوانى الإرهاب الأيديولوجي في سحق كل من يخالفه. فقد كان أصحاب هذا النوع من الإرهاب يتورعون قليلًا عن قتل المدنيين، ولكن اليوم ينتهجون نفس نهج الإرهاب الديني في تفجير أنفسهم وقتل المدنيين من دون أي اعتبار، لكون هؤلاء لا ذنب لهم في حربهم القذرة. [110]

2.2.7.1 الإرهاب الإنفصالي:

ينسب إلى الحركات التي تستخدم تقنيات الإرهاب من أجل تحقيق الإنفصال عن الدولة الأم والإعتراف بالإستقلال السياسي والإقليمي لمجموعة أو جنس معين، ويسمى الإرهاب القومي أو الإقليمي وقد وجد هذا النوع من الإرهاب منذ أمد طويل، وهو عكس حركات التحرر التي تستهدف التحرير من الإستعمار والحصول على إستقلالها وممارسة حقها في تقرير مصيرها الأمر الذي دفع المجتمع الدولي إلى الإعتراف بشرعية كفاحها في حين أن الحركات الإنفصالية تستهدف وحدة الدولة وسيادتها الإقليمية ومن ثم لا تعترف بها المواثيق الدولية لأنها تتنافى مع مبدأ وحدة إقليم الدولة المعترف به دوليا، وقد ظهرت الكثير من الحركات الإرهابية الإنفصالية عبر التاريخ وفي وقتنا المعاصر، أهمها : منظمة إيتا الإسبانية «البلسكية القومية الإشتراكية»، والقوات المسلحة الثورية الكولومبية اليسارية «فارك»، وحزب العمال الكردستاني، وحركة «مجاهدو خلق» الإيرانية، وحزب الاتحاد الديمقراطي «البي واي دي» و« تنظيم البوليساريو» بالمغرب. [111]

110 جلال سلمي، ما بين الإرهاب الديني والأيديولوجي، ساسة بوست 18 سبتمبر، 2016.
111 سعيد بلوغ، نقد لقانون الإرهاب، أشكال الإرهاب.

3.7.1 أشكال الإرهاب بحسب نطاقه:

1.3.7.1 الإرهاب المحلي:

هو الذي تقوم به الجماعات الإرهابية ذات الأهداف المحددة في نطاق الدولة، والذي لا يتجاوز حدودها، ولا يكون له ارتباط خارجي بأي شكل من الأشكال، كأن ينتمي القائمون بالعمل الإرهابي وضحاياه إلى جنسية الدولة التي وقع بها العمل الإرهابي، وأن تنحصر نتائج ذلك العمل الإرهابي داخل حدود الدولة ذاتها، وأن يتم التخطيط والإعداد والتمويل لذلك العمل الإرهابي في نطاق السيادة القانونية والإقليمية لتلك الدولة، وألا يكون هناك أي نوع من الدعم المادي أو المعنوي من الخارج.[112]

2.3.7.1 الإرهاب الإقليمي:

مما لاشك فيه أن الإرهاب يعد الآن أحد حقائق العصر الذي نعيشه، بل وأن دوره على حد قول بعض الكتاب قد أصبح يتعاظم بتقلص المجال المتاح للحروب التقليدية نتيجة للتوازن النووي، والقدرة التدميرية الهائلة للأسلحة الحربية على المستوى الدولي باعتبار الإرهاب أحد مظاهر العنف السياسي في هذا العالم المعاصر، أما بالنسبة للنطاق الإقليمي، فقد كان الإرهاب ومنذ وقت طويل حقاً مشكلة إقليمية حادة، أدت إلى تغير الأوضاع السياسية والأمنية في كثير من أقاليم العالم المختلفة، وخير مثال على ذلك انتشار الإرهاب على النطاق الإقليمي ما نجحت فيه إسرائيل (الكيان الصهيوني) في إقامة دولة إسرائيل وزرعتها في المنطقة، تلك الدولة التي بنيت على جهود عصابات أجنبية إبتداء من "البيتار" إلى "الهجناه" و"شتيرن" و"أرجون زفاي لئومي"، وقد خلق قيامه المشكلة الرئيسية التي تعيشها المنطقة كلها، كما قامت إسرائيل على الإرهاب، فإنها لا زالت تمارسه وتعيش في ظله.[113]

112 الدليمي، عبدالرزاق محمد (2010م) الدعاية والإرهاب، ص 37 الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان
113 المالكي، عبدالحفيظ عبدالله (2010م) نحو مجتمع آمن فكرياً: دراسة تأصيلية واستراتيجية وطنية مقترحة لتحقيق الأمن الفكري،ص 161 الطبعة الأولى، مطابع الحميضي، الرياض.

3.3.7.1 الإرهاب الدولي:

هو ذلك الإرهاب الذي تقوم به الدول من خلال مجموعة من الأعمال والسياسات الحكومية محليا لنشر الرعب بين المواطنين لإخضاعهم لرغبات الحكومة، وفي الدول الأخرى لتحقيق الأهداف التي لا تستطيع الدولة تحقيقها بالوسائل والأساليب المشروعة. لأن إرهاب الدولة قد يكون في الداخل من خلال التعسف في استعمال السلطة، وهو ما يسمى بالإرهاب القمعي أو الإرهاب القهري، وقد يكون على المستوى الخارجي ويمارسه بصورة مباشرة كالعمليات التي تنفذها وحداتها العسكرية ضد المدنيين في دولة أخرى ويسمى بالإرهاب العسكري، وقد يكون بصورة غير مباشرة من خلال دعم الجماعات الإرهابية في بعض الدول، وإمدادها بالسلاح والأموال لتمويل عملياتها، وقد تقوم بتدريب أفراد هذه الجماعات في معسكرات تدريب خاصة، ثم يتم تصديرهم إلى الخارج، أو تأمين المأوى لهم بعد عملياتهم.[114]

وقد كان هناك دائماً اتجاهان بخصوص تفسير ظاهرة الإرهاب الدولي وهما:

- **الاتجاه الأول:** كان ينظر إلى الإرهاب الدولي لما تسببه الجريمة من رعب عام وشامل، ومن حيث استخدام الإرهاب كوسائل من شأنها إحداث خطر عام، وما ينجم عنها من أضرار عامة ليست فقط بالنسبة للمواطنين في دولة واحدة، وهي مكان وقوع الجريمة، بل بالنسبة لكل المواطنين والأجانب أيضاً.

- **الإتجاه الثاني:** فقد اقترب أكثر من تحديد مفهوم وشكل الإرهاب الدولي وذلك وفقا لما يلحق بالمصالح الدولية من أضرار نتيجة للعمليات الإرهابية من خلال وجود عنصرين أولهما إذا كان الهدف من الإرهاب هو إثارة الاضطرابات في العلاقات

114 عبدالله مطلق عبدالله (1431هـ) الإرهاب وأحكامه في الفقه الإسلامي، ص 212-213 الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض.

الدولية، والثاني إذا اختلفت جنسية الفاعل و جنسية الضحية أو مكان ارتكاب الجريمة.[115]

ولقد قمت بهذا الفصيل النظري لكي نفهم ماهية العنف و التطرف في إطارهما النظري الشامل، لكن مايهمنا كما يقال هو أن نبدأ بما يتعلق بترتيب بيتنا الداخلي، فلقد أصبح من المهم بمكان من أكثر وقت مضى الإنكباب على دراسة ظاهرة التطرف ومدى ارتباطها بظاهرة الإسلام السياسي في هذه المرحلة المفصلية أكثر من أي من المراحل التي سبقتها، نظرا للأحداث و التحولات المطردة التي عرفتها الساحة الدولية بصفة عامة و العربية والإسلامية على وجه الخصوص. والتي فرضت تحولات و أولويات صار من اللازم إدراكها. ولقد رأينا ظهور خارطة جديدة من الإمتدادات والحركات، تجابه تحديات وعيوب كثيرة رافقت العمل الإصلاحي وجب الإلتفات إليها، وتبيين وجه الخلل فيها وكذا تقويم اعوجاجها.

115 عليان، شوكت محمد (2008م) الإرهاب المفروض والمرفوض حقيقته – أسبابه – علاجه، ص 163 دار العليان للنشر والتوزيع، عمان.

الفصل الثاني

حركات الإسلام السياسي و ظاهرة التطرف

1.2 الحركات الإسلامية تعريفها و أسباب ظهورها

يطلق بعض الباحثين مصطلح " الحركات الإسلامية"، و يفضل آخرون مصطلح الأصولية و يذهب آخرون إلى إستخدام تعبير الإسلاموية، على الحركات التي تنشط على الساحة السياسية، و تنادي بتطبيق قيم الإسلام و شرائعه في الحياة العامة و الخاصة على حد سواء، و تعادي أو تعارض في سبيل هذا المطلب الحكومات و الحركات السياسية و الإجتماعية الأخرى التي ترى أنها قصرت و توانت في الامتثال إلى تعاليم الإسلام أو خالفتها. و يغلب إطلاق هذا المصطلح على الحركات التي تصف نفسها بهذا الوصف و تنشط في المجال السياسي. إذ نادرا ما يطلق وصف الحركات الإسلامية على الجماعات الصوفية التي لا تنشط في مجال السياسة. ولا يطلق هذا الوصف أيضا على الأحزاب التقليدية ذات الخلفية الإسلامية كحزب الأمة في السودان. أو الإستقلال في المغرب، بينما تطلق هذه الصفة على حركات المعارضة للأنظمة السياسية القائمة في الدول العربية. [116] و هناك مدلولات عديدة للحركة الإسلامية ، فقد رأى بعض الباحثين أن الحركات الإسلامية تميز نفسها عن التيارالشعبي العام، و تخصص هذا التمييز بنسبة نفسها إلى الإسلام، كما لو أنها تصدر حكما على المجتمع حولها بالتقصيرعن الوفاء بقيم الإسلام، و تنصب نفسها قائمة بمهمة التذكير والدعوة و أحيانا الإكراه على تلافي هذا التقصير. (113)[117]

إلا أن المصطلح الذي استخدم بقوة في أواخر القرن الماضي والذي اشتهرت به أكثر هو: الصحوة الإسلامية وبخاصة من قبل الجماعات والحركات الإسلامية نفسها التي تسعى إلى الدولة الإسلامية، ومجتمع إسلامي جديد، وحكومة إسلامية تحافظ على الدين وترعى شؤون الأمة بمعنى أن قسما منها حدد هويته بالإسم الذي اختاره. [118]

116 عبد الوهاب الأفندي،" الحركات الإسلامية: النشأة و المدلول و ملابسات الواقع ،" في: (الحركات الإسلامية و أثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، ط 1 ،2002 ، ص 13.

117 نفس المرجع السابق، ص 14.

118 حسن طوالبه، العنف والإرهاب من منظور الإسلام السياسي .مصر والجزائر نموذجا. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط 2 ،2005 ،ص 84

يقول الإمام محمد عبده :" إن الله تعالى قد وضع لنا بفضله و رحمته قاعدة نرجع إليها عند تفرق الأهواء و اختلاف الآراء، وهي الإعتصام بحبله، و لذلك نهانا عن التفرق بعد الأمر بالإعتصام والذي يفسر بأنه تمثيل لجمع الأهواء وضبط الإرادات. فبالنسبة له لا تقوم لقوم قائمة إلا إذا كان لهم جامعة تضمهم، ووحدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض، فيكونون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد. وإذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هي مصدر حياتنا، فإنه لابد من وجود جماعة تأمر بالمعروف، و قد تم تفسير الآية الكريمة :" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ".[119] هو أن تكون منكم طائفة متميزة تقوم بالدعوة والأمر بالمعروف، والمخاطب بهذا جماعة المؤمنين كافة، فهم المكلفون أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة و لفظ أمة أخص من الجماعة. [120] أي أنها صفوة تقوم على أحوال المسلمين كافة.

أما عن أسباب عودة ظهور الحركات الإسلامية إلى المجال السياسي فله أسباب نذكر منها :

<u>أولا:</u> واقع التكوين الثقافي للمجتمع العربي، حيث تحتل الفكرة الدينية موقعا مميزا في منظومة الأفكار العامة السائدة، وهو موقع لم تغير منه كثيرا وقائع التحديث الثقافي التي جرت منذ أن اصطدمت مجتمعاتنا بالمدنية الغربية.[121]

فالحضارات الغربية والتأثير المتزايد للتفوق الغربي في شتى المجالات لم يلغي حقيقة أن المجتمعات العربية بقت متمسكة بدينها رغم ظهور طبقة أو نخبة تدافع عن الثقافة الغربية، إلا أن وصول هذه الأخيرة إلى مأزق الفراغ القيمي، جعل من المؤكد

119 الآية 104 ،سورة آل عمران

120 توفيق الواعي، كبرى الجماعات الإسلامية الإصلاحية في العالم المعاصر: جماعات ، حركات أحزاب. الجزء الأول، مصر: مؤسسة الشروق للنشر و التوزيع، ط 8. ص 1، 2006.

121 عبد الإله بلقزيز، الإسلام و السياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي. المغرب: المركز الثقافي العربي، ط 1،2001 ،ص .9 7 -نفس المرجع السابق، ص 10.

أن المجتمعات العربية الإسلامية كانت محقة على التمسك بقيمها و الدفاع عن دينها كلما أحست أنها مهاجمة في عمق هويتها، فلذا نجد الزعماء الدينيين يحظون دائما بمكانة مميزة داخل هذه المجتمعات.

ثانيا: إن المسألة السياسية كانت دائما جوهرية في الإسلام، ولم تفتعلها الحركات الإسلامية المعاصرة أي ما يسمى اليوم بالإسلام السياسي، فلقد شهد التاريخ الإسلامي وجود علاقات من التلازم بين السياسة و الدين بلغت مستوياتها حدودا عبر فيها الصراع السياسي عن نفسه في أشكال مختلفة من المذهبية الدينية في مراحل كثيرة من العصر الوسيط.[122] وينطبق هذا على عصرنا الحديث كذلك، حيث تمت مواجهة مختلف أوجه الإحتلال بتضافر عنصري الوطنية و الدين في تشكيل الوجدان السياسي للأمة العربية المحتلة، ففي بداية الإحتلال نشطت مقاومات تحت لواء الجهاد و بزعامة مشايخ يشهد لهم بالتقى و المكانة الدينية في مجتمعاتهم.

ثالثا أسباب عودة الديني إلى واقع الحياة السياسية والإجتماعية هو وجود أسباب موضوعية إقتصادية وإجتماعية وسياسية، تحمل الكثيرين على استثمار الرأسمال الديني وتجنيده في الصراع السياسي، أو تدفعه في إتجاه إنشاء حركات إسلامية إحتجاجية سياسية المحتوى و دينية الشكل. و هذه الحركات غالبا ما تنشأ و تظهر نتاج الظلم و القمع الممارسان من قبل السلطات الحاكمة، و الإحساس بالتهميش و الإقصاء اللذين غالبا ما يؤديان إلى الاغتراب (عدم المبالاة أو) الإنضمام إلى حركات عنيفة نتيجة سوء توزيع الثروة و انتشار الفساد. من جانب آخر تسعى هذه الحركات الدينية إلى استقطاب كل من هو مقتنع بشعاراتها مثل أن " الحاكمية لله وحده ولا حاكمية لبشر"، وأنه لا بد من "حكومة دينية لإقامة النظام الإسلامي" وأن "الجهاد فريضة غائبة يتعين إعادتها لمواجهة أعداء

122 نفس المرجع السابق، ص 10 .

التيار الإسلامي من حكام ومفكرين" وأنه لا بد من "تطبيق الشريعة الإسلامية" وإلا تعين الحرب على المجتمع بكامله، وأنه " لا بد من فرض الجزية " على غير المسلمين وإلا كان المجتمع جاهليا كافرا، وأنه " لا يوجد إلا الحل الإسلامي لمواجهة كل مشاكل المجتمع الوطني و الدولي"، وأنه "لا ينبغي أن تكون للمسلم أية جنسية إلا الإسلام"، و يتعين " ألا يكون له ولاء لوطنه بل لجماعة المسلمين".[123]

2.2 الشروط التي بموجبها يمكن أن نطلق على تجمع دعوي تسمية حركة إسلامية:

يعرف الدكتور يوسف القرضاوي الحركة الإسلامية بأنها "ذلك العمل الشعبي الجماعي المنظم للعودة بالإسلام إلى قيادة المجتمع، وتوجيه الحياة ...كل الحياة؛ فالحركة الإسلامية قبل كل شيئ عمل وعمل دائب متواصل ، وليس مجرد كلام يقال أو خطب ومحاضرات، أو كتب ومحاضرات، و إن كان هذا كله مطلوبا ، ولكنه جزء من حركة، وليس هو الحركة[124] ، والله تعالى يقول :" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المومنون" [125]

و في تعريف للأستاذ صلاح الدين الجورشي: " إنها ليست مجرد حركة دينية كالطرق الصوفية مثلا أو التيارات الثقافية والإجتماعية التي تتشكل عادة في جمعيات ونوادي لأداء وظائف محددة، وهي أيضا ليست حزبا سياسيا عاديا (..) لكن كل هذه الأبعاد نجدها بنسب مختلفة تتقاطع داخل الحركة الإسلامية فهو يرى بأن الحركة هي كيان تنظيمي يختلف في برامجه ومناهجه ووسائله وإرتباطاته ومراجعه العقائدية والفكرية كما تتباين في الحجج والأهمية من قطر إلى آخر ومن تجربة إلى أخرى، ويضيف أن

123 محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي.الجزائر:المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 13. ص،1990 .
124يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة. ط 13 .بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992 ، ص 13.
125سورة التوبة آية 105.

إختلافها لا يمنع إلتقاءها حول أرضية واحدة على هشاشتها وما يميز الحركات هو إلحاحها على اعتبار الإسلام منهج حياة ثم تركيزها على الجوانب السلوكية والأخلاقية للأفراد والمجتمعات. [126]

من خلال هذين التعريفين يمكن أن نستنبط أن مفهوم الحركة الإسلامية لا يمكن أن يطلق على تجمع دعوي إلا إذا توفرت فيه شروط نوجزها في:

1.2.2 الصفة العملية:

على عكس المنتديات الفكرية والممارسات الخطابية والوعظية والشعارات التهييجية، تشكل الحركة الإسلامية التجسيد العملي لحركة الإسلام في الواقع، لأنها لا تقتصر على الخطب والمحاضرات، ولكنها تتجاوزها إلى العمل ـ ومنه اشتق لفظ حركة ـ على تطبيق ما تؤمن به وتدعو إليه.

2.2.2 الصفة الشعبية:

وهذا ينافي ما تقوم به الحكومات من إنشاء للرابطات والمجامع الدينية التي تشرف عليها غالبا وزارات الأوقاف، فرغم الدور الديني الذي تقوم به، لكنها لا ترقى إلى لقب "حركة إسلامية".[127]

3.2.2 خاصية التنظيم:

فالتنظيم إذن شرط لابد منه، وهو لا يتوفر في عمل المفكرين والوعاظ والخطباء، ومنهم من يلتف حوله آلاف الشباب، لكن هذا الإلتفاف لا يرقى إلى مستوى حركة إسلامية .[128]

126 حسن طوالبه، العنف والإرهاب من منظور الإسلام السياسي .مصر والجزائر نموذجا. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط 2 ،2005 ،ص 86 .
127 عمر إحرشان "الحركة الإسلامية: قراءة في المفهوم والوظيفة والسياق،18/04/2010: www.aljamaa.net.
128 المرجع نفسه.

4.2.2 العرض الشمولي للإسلام:

الإقتصار على جانب من جوانب الإسلام يتنافى مع تعريف الحركة الإسلامية "نحن نقصد بالحركات الإسلامية مجموعة التنظيمات المتعددة المنتسبة إلى الإسلام والتي تعمل في ميدان العمل الإسلامي في إطار نظرة شمولية للحياة البشرية (..) وتحاول التأثير في كل نواحي حياة المجتمع من أجل إصلاحها وإعادة تشكيلها وفق المبادئ الإسلامية" وهذا ما يزيده تأكيدا الأستاذ فتحي يكن: "هناك هيئات ذات اتجاه روحي محض، تعنى بالتربية الروحية وقد أسقطت من حسابها بالكلية الجوانب الأخرى (..) وهناك هيئات ذات اتجاه ثقافي نشأت في الأصل كردة فعل عاطفية.. وهناك جمعيات ذات اتجاه خيري نشأت تحت ضغط الحاجة إلى إعانة البائسين وتأمين العلاج للمرضى والمحرومين (..) هذه الجمعيات وإن كانت تقوم بجهود مشكورة في نطاق ما ندبت نفسها له - وهو واجب إسلامي - إلا أنها تبقى محدودة في إطار ما قامت من أجله (..) وهناك أحزاب إسلامية ذات إتجاه سياسي صرف تتبنى لونا من العمل لا تتخطاه أو تتعداه (..) إن هذه الهيئات والواجهات والأحزاب الإسلامية وتلك لا تمارس العمل الإسلامي الأصيل والمتكامل" .[129]

5.2.2 السعي إلى إمتلاك السلطة لتطبيق الإسلام:

وهذا جانب مهم في التعريف إذ لا نستطيع أن نطلق كلمة الحركة الإسلامية إلا على الحركات التي تضع الدعوة والدولة في برنامجها، فالحركة التي لا تسعى من أجل الحكم أو لا تسعى من أجل شمولية الإسلام لكل الواقع الذي يعيشه الإنسان ليست حركة إسلامية في المصطلح وإن كانت نشاطا إسلاميا في الواقع.

ونختم بتعريف شامل - بعض الشيء - لمحمد فتحي عثمان: "يقصد بالحركة الإسلامية المعاصرة...الحركة أو الحركات التي ظهرت في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري فمنذ ذلك

129 فتحي يكن، ماذا يعني انتمائي للإسلام. ط 17 .بيروت :مؤسسة الرسالة، 1991 ،ص 132-133.

التاريخ برزت حركات إسلامية معاصرة لها الطابع التنظيمي الحديث وإن لم يضعف الأثر الشخصي للزعامة الجماهيرية Charisma ، وقد عملت هذه الحركات على تحريك الجماهير Masses و إن لم تتخلى عن التركيز على التربية الروحية والفكرية للأفراد وعلى قدر ما استطاعت أن توازن بين نزعتها الجماهيرية وخططها التربوية على قدر ما أمكن أن تتوخى نزعة صفوية Elitist تظهر أحيانا (..) كذلك تميزت (..) بتقديم الإسلام كنظام شامل للحياة كلها[130]

أما الأستاذ: فادي شامية فيرى في كتابه " سبيل القاصد للحكم الراشد " أن :" الحركة الإسلامية مصطلح يعبر عن التنظيم الذي يعمل لتحكيم شرع الله، وقد بات واضحا أهمية هذه التنظيمات و مبررا وجودها بعد إنهيار الخلافة الإسلامية عام 1924م. وهذا التعريف يضع للحركة الإسلامية ركنين:

1-التنظيم.

2 -الإسلام

فالتنظيم هو الشكل الذي تفرغ فيه جهود جماعية لتحقيق غرض مرسوم، أما الإسلام فهو الديانة الربانية الشاملة في شقها الاعتقادي والسلوكي، ولذلك فكل فصيل من فصائل الحركة الإسلامية يقوم بين أفراده نوع من أنواع التنظيم ولوكان بسيطا ويهدف إلى تحكيم شرع الله في الأرض،[131] حتى ولوكان من خلال عمله يركز على جانب دون آخر، يدخل في إطار الحركة الإسلامية، وهذا انطلاقا من أن الدين الإسلامي هو الدين الكفيل بإنقاذ البشرية اليوم، والخروج من محنتها، محنة المادية العاتية، التي سلبتها أو كادت كل معاني الآدمية الكريمة، والإنسانية الفاضلة حتى سيرت الإنسان آلة لافهم له، ولا ذوق، ولا تقدير ولا احترام ... [132]

130 محمد فتحي عثمان، "التجربة السياسية للحركة الإسلامية المعاصرة"، عمان: منشورات مركز دراسات المستقبل الإسلامي، ط 1 ،1991 ،ص 21 .

131 الموسوعة الحركية، 2010/04/18. www.daawa.info.net.

132 Abou Baker jaber al-jazaeri , la foi du croyant. (Tr par Rima Ismail), Beirut: Dar elfiker ., 2004, p2

ويكاد تعريف السيد عبد الله العريفي للصحوة الإسلامية أن يقترب مما يأخذ به راشد الغنوشي كتعريف للحركة الإسلامية، حيث يعرفها الغنوشي بأنها "جملة الجهود الجماعية والفردية التي يقوم عليها عشرات الآلاف من الرجال والنساء المؤمنين برسالة الإسلام في كل أرجاء المعمورة من أجل هداية البشرية إلى الله..على نحو يغدو معه النشاط الإنساني في كل جوانبه ينطلق ببواعث إسلامية متجهة إلى تحقيق مرضاة الله، وذلك عبر الكفاح المتواصل الفردي والجماعي ضد اندفاعات النفس، صوب الهبوط، المعززة بإغراءات شياطين الجن والإنس القائمين عقبة في طريق تجديد الحياة والفكر والسلوك، والسياسة والمجتمع والآداب والفنون"[133] ومن خلال هذا التعريف، قد نلمح بعضا من فكر "الغنوشي"، حتى أنه كاد ينسى أنه يعرف الحركة الإسلامية السياسية، لولا أنه تداركها في الأخير عندما أشار إلى السياسة باعتبارها إحدى المكونات الحياتية، والتي هي من ضمن اهتمامات الحركة الإسلامية.

ومن خلال ماسبق من تعاريف مختلفة للحركة الإسلامية يتضح جليا أنها تشترك في تناولها للأسس الكبرى للحركات الإسلامية:

1 - عمل منظم.

2 - مشروع العودة بالأمة للإسلام.

3 - العمل السياسي أولوية لتطبيق المشروع الإسلامي.

إنطلاقا من كل هذا تفترض الحركة الإسلامية أن مشروعها التنموي والحضاري لا يخرج عن دائرة فهم الإسلام واعتباره كمنهج حياة ومنه تساق جميع برامجها على إعتبار أنه شامل لجميع مناحي الحياة، السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية ..إلخ.

133 عباس المرشد، "أعمدةالحركات الإسلامية وجدل التسمية". 18/04/2010 com.alwaqt.www .

إعتبارا لكل هذه الشروط يمكننا أن نتكلم عن الحركة الإسلامية بأنها : عبارة عن حزب سياسي إسلامي له عقيدة إسلامية ترى أن الإسلام دين و دولة وهي كيان له هيكل منظم، يهدف إلى أسلمة المجتمع والدولة من القاعدة إلى القمة عبر القنوات الشرعية المتاحة من وسائل عمل إجتماعية وسياسية للوصول إلى السلطة بالوسائل السلمية المشروعة لبسط وتطبيق برنامجها الإسلامي على إعتبار أنه منهج حياة عام وشامل ومتكامل.

3.2 خريطة الحركات الإسلامية و ماهية سماتها المشتركة:

لقد ظهر الإختلاف بين المسلمين منذ الصدر الأول، ف "إختلف الناس بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم في أشياء كثيرة ظلل بعضهم بعضا وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقا متباينين، وأحزابا مشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم." [134]

وسنة الإختلاف من السنن الكونية التي جبل الإنسان عليها ولقد اختلف الناس في القرون الثلاثة الأولى التي اعتبرها الرسول الكريم بأنها خير القرون، فكيف بالذين جاءوا بعدهم..؟ وقد نشأت الأحزاب والطوائف المختلفة. ولقد عانت الحركة الإسلامية - مثلها مثل باقي الحركات الإجتماعية والسياسية - من التشرذم وعدم الوحدة في التصنيف، وإن فهم الحركة الإسلامية يستلزم معرفتها من خلال معيارين :

الأول: الشرعية القانونية التي تتمتع بها الحركة، أي كيف وصلت إلى الحكم؟ هل من خلال ثورة شعبية أو إنقلاب كما حصل في إيران والسودان.

الثاني: طبيعة الحركة هل هي متعاونة مع نظام الحكم القائم، وقابلة لقواعد اللعبة السياسية أم أنها تسعى إلى تغييره، يضاف إلى ذلك عمقها الإجتماعي وبعدها الإقليمي والدولي وإطارها الشمولي. [135] ولقد إختلفت الحركات الإسلامية في ماهية فهمها

134 أبي الحسن الاشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. بيروت: المكتبة العصرية، 2005 ،ص 21 .
135 حسن طوالبه، مرجع سابق، ص 88 .

لعلاقة مشروعها الفكري والسياسي والإجتماعي بقواعد الإسلام وأصوله، ولا تتوقف المرجعية لتلك الحركات عند المرحلة النبوية الشريفة والخلافة الراشدة، بل تتعداها لتشمل التاريخ الإسلامي برمته وتراثه الموزع بين قرونه الأربعة عشر والذي تستقي منه مصطلحاتها وإسقاطاتها على الواقع المعاش مستعينة أحيانا على قراءته بمرجعيات أخرى من أمم أخرى خارجة عنه، ويضل الإسلام بالنسبة لتلك الحركات بمثابة وعاء حضاري، ديني و تاريخي، تنهل منه لتنظيم المجتمعات والدول الإسلامية التي تنشط فيها، والتي تتخذ برنامجها شكلا لا يختلف سوى في المضمون عن برامج الجماعات السياسية أو الإجتماعية الأخرى غير الإسلامية، حيث تتعدد الإتجاهات الإسلامية داخل المشهد السياسي برؤى ومذاهب فكرية مختلفة. و يوصلنا تحليل تلك الحركات السياسية الإجتماعية ذات البرنامج الإسلامي، بحسب الباحثين، بأننا يمكن أن نصنف تلك الحركات إلى خمسة تصانيف كبرى:

1.3.2 الصنف الأول:

وهو تصنيف تعميمي شيئا ما يقسم الحركات الإسلامية إلى قسمين كبيرين:

أ- الحركات السلمية الساعية للحكم:

النوع الأول من تلك الحركات هو تلك التي تسعى بصورة مباشرة إلى السلطة السياسية، من أجل تطبيق برنامجها السياسي والإجتماعي ذي الطابع الإسلامي، تعد جماعة الإخوان المسلمين في مصر والبلدان العربية الأخرى التي توجد بها، وجماعة النهضة في تونس وحركة مجتمع السلم في الجزائر وحركة التوحيد و الإصلاح بالمغرب، أبرز تلك الحركات السياسية الإجتماعية السلمية الساعية للحكم.

ب- **حركات التحرر الوطني المسلحة:**

أما حركات التحرر الوطني المسلحة الإسلامية فهي في الأصل جزء من الحركات السياسية الإجتماعية ذات البرنامج الإسلامي، دفعت بها الظروف المحيطة بها في مجتمعاتها التي تخضع للإحتلال الأجنبي، إلى تبني برنامج للتحرر الوطني يقع الكفاح المسلح في قلبه. وقد بدأ ظهور تلك الحركات من بين صفوف جماعة الإخوان المسلمين إبان حرب فلسطين عام 1948، ثم المقاومة الوطنية المصرية ضد قوات الإحتلال البريطاني في مدن قناة السويس بدءا من عام 1951، وفي الوقت الحالي تعد كل من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وحركة الجهاد الإسلامية الفلسطينيتين الأكثر بروزا وتمثيلا لتلك النوعية من الحركات.[136]

2.3.2 التصنيف الثاني:

هو تصنيف الدكتور عبد الستار الراوي، الذي يعتبر أن الجماعات الإسلامية يمكن تصنيفها إلى خمسة صنوف أوإتجاهات وهي:

أ - **التيار التقليدي:** والذي تمثله جماعة الإخوان.

ب - **التيار المذهبي:** ويمثله تيار إيران (الدعوة، حزب العمل ،حزب الله ، جند الإمام ...).

ج - **التيار الجماهيري، الإيديولوجي:** مثل (حماس، الإنقاذ في الجزائر، الجهاد في مصر...).

د - **تيار الرفض:** ويمثله (التكفير والهجرة، جماعة السيف، الجهاد، جند الله...).

ه -**التيار العقلاني**: ويمثله مجموعة من المفكرين ممن اعتمدوا المنهج النقدي التحليلي.[137]

136 إبراهيم النجار و آخرون، دليل الحركات الإسلامية في العالم. الأهرام: مركز الدراسات السياسية والإستراتجية،ج 1 ،ط 2006،2، ص .23

137 حسن طوالبه، مرجع سابق، ص 89 .

3.3.2 التصنيف الثالث:

في كتاب "إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف" يقسم صاحبه بكير سعيد أعوشت الحركات الإسلامية إلى ثلاث حركات رئيسية أومدارس كما سماها وهي:

أ ـ **المدارس السلفية الحديثة:** والتي تشتمل على المدرسة الوهابية نسبة إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب وتشتمل كذلك على المدرسة السنوسية نسبة إلى العالم الجزائري محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي.

ب ـ **المدارس الإصلاحية:** والتي تشتمل على ثلاث مدارس وهي:

- **المدرسة الأفغانية:** نسبة إلى جمال الدين الأفغاني.
- **المدرسة الباديسية:** نسبة إلى الإمام عبد الحميد بن باديس.
- **المدرسة اليقظانية:** نسبة إلى إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان.

ج ـ **المدارس القرءانية:** والتي رأى بأنها تشتمل على مدرستين وهما:

- **المدرسة المودودية:** نسبة إلى الأستاذ أبي الأعلى المودودي الذي أسس الجماعة الإسلامية في باكستان.
- **المدرسة البنائية:** نسبة إلى الإمام حسن البنا.[138]

4.3.2 التصنيف الرابع:

أما الكاتب: تمارا كوفمان ويتس فهو يقسم الحركات الإسلامية إلى ثلاثة أصناف:

أ ـ النوع الأول: هم الحركات الإسلامية المسلحة مثل حزب الله وحماس.

ب ـ النوع الثاني: هم الجماعات التكفيرية.

ج ـ النوع الثالث: هم الإسلاميون الذين ينبذون العنف ويشاركون في العملية السياسية في الدول العربية.

138 بكير سعيد أعوشت.إسلام اليوم بين المصالحة والتعريف.باتنة : دار الشهاب 1987،ص: 166-165-164 .

وتستثني الدراسة الصنفين الأول والثاني، لتركز على القسم الثالث، وتشكك في مدى قابليته للإنخراط في العملية الديمقراطية ما لم يجرِ نقاشا داخليا يخرج منه بموقف واضح حول موقف هذه الحركات من الأقليات، والمشاركة السياسية وحدود السلطة الدينية وتأثيرها على العملية الديمقراطية. ومن ناحية أخرى، ترى الدراسة أنه لا يمكن بحال من الأحوال قياس صدقية خطاب الإعتدال الذي تنتهجه الحركات الإسلامية المسالمة، ولا مدى قدرتها على لعب دور بناء في العملية الديمقراطية، قبل توفير جوعام من الحريات السياسية، يسمح بالمنافسة السياسية بين الإسلاميين وغيرهم من الأحزاب والحركات السياسية. وعلى الرغم من أن الدراسة تحتوي على كم هائل من التشكيك ببراغماتية الإسلاميين المسالمين، إلا أنها تعتبر أنه من الضرورة بمكان استثمار مشاركتهم السياسية في إطار عملية الدمقرطة حتى لا يكون هناك مجال لتنامي التيارات الإسلامية المتطرفة.[139]

5.3.2 التصنيف الخامس:

بينما الأستاذ محمد بن المختار الشنقيطي يرى أنه لم تنقشع سحب غبار هجومي أحداث 11 سبتمبر حتى تكشفت عن تباينات شتى في مواقف هذه الحركات من التفجيرات.. ولم يبق الموقف شبه الإجماعي على حاله.. تباينات عديدة تبعا لاختلاف الخلفية الفكرية والتنظيمية.. ويرى أن مسمى الحركات الإسلامية يشمل في الوقت الحالي ثلاثة أصناف:

أ ـ الحركات الإسلامية السياسية:

والمقصود بها هنا ذات الخلفية الإخوانية.. وهذه حركات سلمية، تميل إلى العمل من داخل النظام السياسي والإجتماعي السائد، وتسعى إلى دفعه إلى التغيير بروح إصلاحية لا ثورية. ويمكن القول إن هذه الحركات اتخذت قرارا إستراتيجيا منذ

139 تمارا كوفمان ويتس " الأحزاب الإسلامية : ثلاثة أصناف من الحركات الإسلامية" تر: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات . 2010/04/19م www.arabi-times.com

السبعينيات بتفادي الصدام المباشر مع خصومها، واعتماد منهج التدرج والنضال المدني، بالتعاون مع القوى القومية_والوطنية المعارضة.. لذلك لا عجب أن أطبقت هذه الحركات على إدانة الهجمات يوم 11 سبتمبر، لأن هذا الأسلوب من المنازلة لا ينسجم مع رؤيتها ومنهجها في العمل.

ب ـ الحركات الإسلامية السلفية:

وهي تقليديا ذات منحى تعليمي إرشادي، ولم تكن تهتم بالسياسة كثيرا ولا تحسن ألاعيبها.. لكن التطورات الإجتماعية والسياسية في الجزيرة العربية خلال العقد الأخير تكشفت عن مخاض جديد في الحركات السلفية، جعلها أكثر تسيسا وأعمق وعيا بالحدث اليومي.. وقد تبنت هذه الحركات، بعد تجاوز أيام الصدمة الأولى، موقفا أكثر "تفهما" لما حدث ضد أميركا، دون أن تؤيده بشكل صريح.. وربما كان من أسباب ذلك أيضا موقف تلك الحركات السلفية من الوجود العسكري الأميركي في الخليج.

ج ـ **الحركات الجهادية الثورية:**

وهي سلفية الفكر في الغالب الأعم، لكنها تختلف عن السلفيين التقليديين في موقفهم من الحكام، وميلهم إلى الخضوع للأمرالواقع، وعزوفهم عن السياسة. كما تعتبر أن الحركات السياسية الإخوانية تغالي في التحوط والمحاذرة، مما حولها إلى جزء من الواقع، لا بديلا عنه كما هو المفترض. وتتبنى الحركات الجهادية طريق "ذات الشوكة" في تعاملها مع الحكام ومع القوى الأجنبية الموجودة في المنطقة.. وهي في العادة قليلة العدد، لا تجد تعاطفا كبيرا بين جماهير الشعب العريضة، نظرا لأن خروجها على الدولة تحول في بعض البلدان إلى خروج على المجتمع، فأضر برسالتها وجاذبيتها، كما أن جهدها الحربي لا تصاحبه مظلة سياسية مناسبة، تسدده وتجني ثمرته. [140]

140 كاتب موريتاني مقيم في الولايات المتحدة الأميركية. محمد بن المختار الشنقيطي، "الحركات الإسلامية وهجمات 11 سبتمبر.. خلافات وخلفيات"، 2010/04/19. www.aljazeera.net

وبعد كل هاته التصنيفات المختلفة لظاهرة الحركة الإسلامية فإنه يمكننا القول عموما بأن هاته الحركات الإسلامية تشترك في خصائص وسمات معينة تميزها عن باقي الحركات الإجتماعية والسياسية الأخرى وأهم تلك الخصائص هي :

- **إن الحركات الإسلامية تسعى إلى تحقيق هدف أساس،** كان لايزال ينحصر في محاولة العودة بالمجتمع العربي الإسلامي إلى النموذج الذي وحد الأمة في صدر الإسلام أيام الرسول "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الراشدين. [141]

- **إن الحركات الإسلامية عموما لها جذور تاريخية** وهي ليست وليدة العصر الحديث.

- **خاصية الإنتشار والتغلغل التلقائي،** و ساعدها بوجه خاص طبيعة الدين الإسلامي ذاته ، الذي يفرض على المسلم الحق أن يبادر بتطبيق تعاليم الإسلام دون توجيه ، كذا قوة الشعور الروحي عند المسلمين مما يسهل تقبل الدعوات الإسلامية. [142]

- **إن إحدى خصائص الحركة الإسلامية في هذا العصرأن تكون حركة سياسية** كما يقول المفكر الإسلامي توفيق الطيب:" لأن ما فقده المسلمون هو النظام السياسي الإسلامي المتمثل في الخلافة، فيجب على فصائل الحركة الإسلامية أن تأخذ أشكال التنظيمات السياسية". [143]

- **يتميز معظمها ببناء تنظيمي قوي،** نظرا للطابع السري الذي اتسمت به الحركات الإسلامية عبر الزمن وإصرارها على تحقيق التغيير الإجتماعي، وكذا نتيجة لبطئ النظام ومحاولة إحتوائها.[144]

141 أحمد إبراهيم خضر، علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام.لندن : المنتدى الإسلامي، 1993 ،ص 257 .
142 عمراني كربوسة، "الحركة الاسلامية في الجزائر: دراسة حالة حركتي مجتمع السلم والاصلاح الوطني". (رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والاعلام، 2006 ، ص 14 .
143 باسم شعبان"الحركة الإسلامية بين العقيدة و السياسة" :.20/04/2: maktoobblog-basimsh.com
144 عمراني كربوسة، مرجع سابق، ص 14

- **أبرز السمات المميزة لهذه الحركات هي حداثتها،** فهي حركات نشأت في كنف الحداثة واستجابة لتحدياتها، وهي أيضا إسلامية بمعنى أنها اختارت - استجابة لتحديات الحداثة - المرجعية الإسلامية، ولا تنطلق مثل غيرها من منطلق الفعالية المجردة ولاستند إلى قيم وأيديولوجيات أخرى تتعارض مع هذه المرجعية.

- **تتلخص مطالب الحركات الإسلامية وفكرها في** الآتي :

- الدعوة إلى استعادة نفوذ الإسلام وسلطته في العالم .
- أن هذا لن يتحقق إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح الذي تخلى عنه مسلمو هذا الزمان .
- أن استعادة سلطة الشريعة غير ممكنة دون إقامة دولة إسلامية حقيقية ، الحاكمية فيها لله وحده .
- مهمة استعادة سلطة الإسلام هي مهمة مقدسة يجوز في سبيلها انتهاج كل وسيلة.[145]

- **إن الحركة الإسلامية هي حركة أيديولوجية** أي تستخدم العقيدة في مجال التطهير و التغيير، أي من أجل بناء الفرد و بناء الجماعة و ليست مجرد اعتقادات و تصورات للجدل و المناظرة فقط.

4.2 الحركات الإسلامية والعمل السياسي بين الإعتدال و التطرف:

لقد عرفت السنوات الأخيرة جدالا لا منتهيا بين المنتمين إلى حقل العمل الإسلامي والمهتمين بالسياسة الشرعية ودراستها حول مدى مشروعية العمل السياسي للحركات الإسلامية في ظل الأنظمة السياسية الوضعية، لذلك فقد دارت حوارات و نقاشات نظرية مختلفة في المجال الدعوي والحركي حول جواز المشاركة السياسية ، وهذا بالنظر للنجاحات التي حققتها بعض الحركات الإسلامية التي خاضت تجربة السياسية

145 نور بن علي العسيري، "الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي" islamtoday.net 19/04/2010

والتي أدت ببعضها إلى الوصول إلى الحكم، وإجمالا يمكن حصر هاته النقاشات حول تيارين كبيرين:

الأول: يعارض ويمنع العمل السياسي.

والثاني: يؤيد ويجوز العمل السياسي.

ولقد كانت النقاشات فكرية وسياسية، وكان المتحاورون يعتبرون أن الأفكار والمواقف يجب أن تكون متقاربة بينهم إن لم تكن موحدة، كالموقف من السرية ومن العنف ومن النظام السياسي ومن الأحزاب ومن الإنتخابات والإرتباط بالخارج، قضايا من هذا القبيل أخذت حيزا كبيرا في النقاشات، حيث ناقشت الأدبيات السياسية مسألة الطريقة الأفضل للنظام والشكل السياسي الذي تؤسسه، وتنوعت التوجهات النظرية حول هذه القضية.

إن الأصل في العمل السياسي هو استهداف المصلحة الجماعية من خلال برنامج محدد ومسؤوليات محددة تتحمل الحركة الجهد والتضحيات من أجل تنفيذها في زمن محدد في حال تسلمها السلطة بعد أي إنتخابات وذلك لأن الحركة مهما تعددت وإختلفت أساليبها وتحديدها للأولويات السياسية والإقتصادية والإجتماعية ستظل في آخر الأمر جزء ا من وحدة، هي المجتمع السياسي للدولة، ومن هذا المنطلق تتدافع أمامنا حزمة من الاسئلة لم نزل نحتار في تصريفها او في العثور على إجابة محددة لها ونحن نتأمل المشهد السياسي أهمها :ترى علام يستند كلا الفريقين في تبنيهما لموقفهما؟

1.4.2 الحركات الإسلامية التي تجوز العمل السياسي:

لقد بنت الحركات الإسلامية التي تجيز العمل السياسي على قناعات وأدلة نذكر منها:

أ- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ويدخل العمل السياسي في إطار الواجبات، فهو إما فرض عين كالبيعة العامة والشورى العامة، أو فرض كفاية كالجهاد والولايات العامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا كان تعريف "السياسة" في علم السياسة الغربي، يرتبط بمفاهيم

الشعب والقانون والسلطة والمصلحة العامة والدولة، ويستبطن قيم الصراع والتكييف والحلول الوسط وتحكيم الواقع، فإن مفهوم "السياسة" في الرؤية الإسلامية التوحيدية هو القيام على الشيء بما يصلحه، وهي إصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة، وبذا تتسم بالعموم والشمول وتخاطب، كمفهوم، كل فرد مكلف في رسالة الإسلام بأن يرعى شؤونه ويهتم بأمر المسلمين، ويحكم بما أنزل الله وينصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ، وبهذا يرتبط مفهوم السياسة بالتوحيد والإستخلاف والشريعة والمصلحة الشرعية والأمة، ويتكامل العمل السياسي من خلال مفهوم الواجب مع باقي مفاهيم الرؤية الإسلامية مستبطنًا القيم الإسلامية وأبرزها العدل.[146] ويتميز هذا المفهوم عند إستخدامه في التنظير والتحليل السياسي للرؤية الإسلامية مقارناً بمفهوم الحق أو حقوق الإنسان بما يلي:

- **انضباط المفهوم:** إذ إن ارتباطه بالمفاهيم الشرعية وأحكام الشريعة، وما وضعته من ضوابط وحدود للعمل السياسي وقواعد لقياس المصالح عند تعارضها، وفق ميزان الشريعة وصلتها بالضرورة الشرعية وحدودها وضوابطها وارتباطه بمنظومة المفاهيم الإسلامية الحاكمة يحقق له الإستقرار والإنضباط: أصولاً، وطبيعة ومقاصد. وبذا يتميز عن مفهوم السياسة الوضعية من ناحية ارتباطه بالمصلحة العامة ونسبية تعريفها وفصله بين السياسة والأخلاق.

- **ربط العمل السياسي بالمسؤولية الفردية:** إذ يعد العمل السياسي واجبا شرعيا لا ينفك عنه أحد من الناس، إما على وجه العينية أو على وجه الكفائية، فالعمل السياسي ليس سنة ولا نافلة ولا تطوعا، بل فريضة تتأسس على مفهوم الإستخلاف الذي هو مصدر الإلتزامات الإيجابية والسلبية التي تقع على عاتق

146 هبة رؤوف، "من مفهوم العمل الشرعي إلى ساحة العمل العام الواجبات العينية والكفائية"، islamonline . 2010/04/26

المسلم. حيث يجب عليه النهوض بأعباء هذه الخلافة حتى يتم له صوغ الحياة الإنسانية على عين هذه الشريعة إعلاء لكلمة الله في الأرض وإخلاصا لله تعالى في العبودية.

- **درجة "الديناميكية" العالية التي يتمتع بها المفهوم**، حيث إن الواجبات الكفائية قد تصبح واجبات عينية كما في الجهاد "فإذا لم يحصل المقصود بالمكلف صار فرضا عينيا على كل مكلف"، وهو ما يميزه عن مفهوم إن الأحكام الشرعية قد تتغير درجاتها عند الضرورة، فيصبح الحرام واجبا، كما في هجرة الدور بأبعاده "الستاتيكية"، بل المرأة بمفردها من دار الكفر. وبذا يدخل الواقع مع المصلحة الشرعية في تحديد درجة الحكم وفق الفتوى الشرعية.[147]

فالعمل السياسي هو من أوضح آليات وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوسع القنوات للقيام بها، فوجوبه من وجوبها لأن الفرد العامل يستطيع من خلال موقعه الإداري إصلاح الكثير من الفساد والإنحراف وقضاء حوائج المؤمنين وحل مشاكلهم ورد الحقوق إلى أهلها إقامة العدل في الرعية. وهذه الأعمال هي المصاديق الرئيسية لهذه الوظيفة الإلهية ولا تتحقق بمعناها الواسع إلا من خلال التصدي لإدارة شؤون الأمة. وكثيراً ما ننتقد وجود الفساد الإداري وإختلاس أموال الأمة والأنانية والفئوية والطائفية وعدم الإكتراث بمطالب الشعب ومعاملتهم بالقسوة والبطش والظلم. ولا نعلم أننا أحد الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة بترك الساحة فارغة لأولئك العابثين بمقدرات الأمة، فهذا تقصير غير مغتفر. وإذا كان له عذر في الزمان الماضي فليس له عذراليوم. يعد الأمربالمعروف والنهي عن المنكرمن أعظم الواجبات وأجلها، ولقد دل على وجوبه الكتاب والسنة.[148] لذلك فإن هذا الوجوب من الواجبات التي لا يمكن للأمة أوالافراد التعرف فيها بالأداء أو الترك، وليس من الأحكام التي يستحسن

147 المرجع نفسه.

148 خالد بن عثمان، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :اصوله وضوابطه وآدابه. لندن: المنتدى الاسلامي، 1995 ، ص 100 -101 .

القيام بها لما فيها من خير وبركة وثواب ، بل هو من أعظم الفروض الشرعية التي يتعين على الكافة القيام به ولا يجوز التخلي عنه أو التهاون فيه فالعمل السياسي هو جزء لا يتجزأ من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[149]

ب - يوسف عليه السلام طلب الإمارة :

في قوله تعالى :"قال اجعلني على خزائن الارض ". [150] قال الأستاذ: الإمام محمد الطاهر بن عاشور:" وهذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره لأن ذلك من النصح للأمة، وخاصة إذا لم يكن ممن يتهم على مصلحة الأمة [151] إيثار على إيثار منفعة على مصلحة الأمة. ويستدلون بقول ابن تيمية في هاته المسألة، يقول في الفتاوى : "ومعلوم أنه مع كفرهم لابد أن يكون لهم عادة وسنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته، ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم ، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل مايريد وهو يرى ما يراه من دين الله فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنيين من أهل بيته مالم يكن يمكن ان يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل في قوله : "فاتقوا آلله ما استطعتم ".[152] وضف إلى ذلك وضوح طلب يوسف عليه السلام فإن العديد من المفسريين قد تكلموا في هاته القضية ومنهم على سبيل المثال لا الحصر القرطبي رحمه الله:

قال بعض أهل العلم: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه:

- فيصلح منه ما شاء وأما إذا كان عمله بحسب إختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك.[153]

149 عبد الله جاب الله، شرعية العمل السياسي. الجزائر: دار المعرفة، 2002 ،ص 138.
150سورة يوسف الآية 55
151 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحريروالتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ج 6 ،1997 ،ص 9 .
152 احمد بن تيمية، محموع فتاوي شيخ الاسلام. مكة المكرمة: مطبعة الحكومة ج 20 ،1979 ،ص ص 56-57 .
153 محمد القرطبي، الجامع لاحكام القران. القاهرة: مكتبة الصفا،ج 5، 2005 ،ص 183.

- قال الآلوسي رحمه الله: وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جُهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولاية واجب مثلا وكان متعينا لذلك.[154] وقال الشوكاني رحمه الله " وقد استدل بهذه الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر، بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق "[155]

ج - وجوب الدعوة الى الله:

إن الدعوة الى الله واجبة وهي وظيفة جميع الرسل، ومن أجلها بعثوا، وإذا تبين أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم، فإن هذا الواجب يتحدد بقدر حال الداعي وقدرته، لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره، فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدرالجاهل، ويجب على ذي السلطان ما لا يجب على الجاهل، و على غيره من آحاد المسلمين.[156]

د - عدم جواز فصل الدين عن السياسة :

مسألة فصل الدين عن السياسة ترجع إلى مسألة (وجوب نصب الإمام) المعدودة من المسائل الكلامية ووجوب الإمامة في إصطلاح علماء الإسلام يعني مباشرة وتلقائيا أنه لابد من تحكيم شرع الله تعالى.[157]

ه- وجوب معرفة الأمة لمن تولى أمرها وإختيارها للأصلح:

إن القول بعدم جواز العمل السياسي والأخذ برأي المعارضين له يعني فتح المجال أمام غير المسلمين بإقتحام المجال السياسي، فيصبح من هب ودب يدعي تمثيل الأمة وصيانة كرامتها ولذلك فعلى الأمة إختيارالأصلح فالأصلح للعمل السياسي لإستخلاص

154 محمود الالوسي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني. القاهرة: المكتبة التوفيقية، ج 7، ص 364 .
155 محمد الشوكاني، فتح القدير. القاهرة: دار الحديث، ج 3 ،1992 ،ص 45.
156 عبد الكريم زيدان، اصول الدعوة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 9 ،2001 ،ص 319 .
157 عبد الكريم زيدان، اصول الدعوة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 9 ،2001 ،ص 319 .

الحكم من أيدي الضعفاء، والخونة ليوضع في أيدي الأقوياء والأمناء،[158]
" الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ "[159]

و- حق الأمة في إختيار حاكمها في الإسلام بمافيه النواب :

إن اختيار الحاكم في الإسلام حق من حقوق الأمة ، كفله له الإسلام فلا ينبغي أن تفوظ فيه أو تتنازل عنه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ويمكن الجمع بين قول من يقول بإختيار من تمثيل الأمة عن طريق أهل الحل والعقد، وبين من يرون الإختيار المباشر عن طريق الأمة وذلك أن يتم الترشيح الأولي عن طريق أهل الحل والعقد الذين يستطيعون إنزال الناس منازلهم ، ثم يعرض هذا الترشح على الأمة لتختار من هذا الترشيح ماتريد.[160]

ز- صعوبة عودة البيعة وتطبيق الديمقراطية المباشرة في العصر الحديث:

لا يمكن القول بأن الديمقراطية المباشرة تصلح للتطبيق في العصر الحديث، وهذا برغم عديد المزايا التي تنسب إلى الديمقراطية المباشرة، وخاصة في تطبيقها في المدن اليونانية القديمة، وبعض المقاطعات السويسرية في الوقت الحاضر التي تتميز بقلة سكانها وبساطة مشاكلها، فإنها لا تصلح للتطبيق في الدول المعاصرة ذات الكثافة السكانية المرتفعة والمساحات الإقليمية الشاسعة، والمشكلات الإقتصادية والإجتماعية المعقمة.[161]

ويرى الأستاذ روجر تبيب " أننا نشهد فكرا إسلاميا معاصرا، وسوف نشهد أيضا الإنضمام إلى النظام الديمقراطي مع قيمه الجديدة بمعنى المجتمع، والمساواة، والعدالة الإجتماعية، وحرية الفكر والتعبير والتخلي عن النماذج النمطية التي عفا عليها الزمن

158 يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص 16
159 سورة الحج آية 41
160 حمد جاد في مؤلف: ابو الحسن الماوردي، الاحكام السلطانية. القاهرة: دار الحديث، 2006 ،ص 21.
161 عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية : دراسة لنظرية الدولة والحكومة والحقوق والحريات العامة في الفكر الاسلامي والاوروبي. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ص 208 .

والدارسين.[162] لاشك أن تطبيق نظام البيعة الإسلامية كما ساد أيام الخلفاء الراشدين لإختيار رئيس الدولة قد أصبح من الأمور الصعبة حتى على مستوى كل دولة ودويلة من تلك التي انقسم إليها العالم الإسلامي ابتداء من القرن العشرين.[163]

2.4.2 الحركات الإسلامية التي ترفض وتنبذ العمل السياسي:

هذا الفريق يعارض وبشراسة كل انخراط في الحياة السياسية أو الإنضمام للبرلمان أو ما إلى ذلك من مظاهر العمل السياسي، وله أدلة ومراجع يستند عليها نذكر منها:

أ- يقوم العمل السياسي على وجود أحزاب تتنافس فيما بينها للوصول إلى السلطة:

وهاته الأحزاب تؤدي إلى تشتيت الأمة ويقول العلامة محمد العثيمين :"فأنا لا أرى التكتل الديني، والتحزب الديني، ورأيي أنه يجب محو هذه الأحزاب وأن تكون كما كان الصحابة رضي الله عنهم أمة واحدة...وكذلك فإني أحذر من التحزب، ورأيي أن هؤلاء الذين يقولون: هؤلاء تبليغيون، هؤلاء إخوانيون وهؤلاء سلفيون، وهؤلاء إصطلاحيون ...وما أشبه ذلك، أرى أنه يجب أن يجتمع بعضهم إلى بعض وأن يتدارسوا الأمر، وأن يخرجوا بفكر واحد.[164]

ب- إن العمل السياسي أصلا يقوم على الحرص على المسؤولية وطلبها:

ولا اختلاف في أن طلب المسؤولية هو أمر غير جائز شرعا لأنه يدخل في باب الإمارة الممضي عنها شرعا ، بدليل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه :" لا تسال الإمارة ،....." [165]

---

162 : Roger Tebib..la pensée politique musulmane contemporaine .p 90 obtenu du www.Strategicsinte rnational.com le 28/04/2010.

163 عبد الغني بسيوني عبد الله، مرجع سابق، ص 16.

164 صلاح الدين محمود، فتاوي معاصرة . مصر: دار الغد الجديد، 2005 ،ص 374 .

165 محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح البخاري. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004 ،ص 773 .

ج - العمل السياسي يؤدي إلى العمل الدموي:

هذه هي حال المغالين في العمل السياسي والدموي، أما في العلم فلا يكادون يعرفون منه سوى رصد حركات الأمراء والرؤساء وحفظ أخطائهم كما يحفظون أسماء أبنائهم، والعمل السياسي غالبا ما ينتهي بأصحابه إلى الدماء، لما فيه من الدواهي الغائلة، والسموم القاتلة، كما قيل: " كم من دم ، سفكه فم " وهاهم قد قضوا أعمارهم مع الإصدارات السياسية، فلم يضفروا من السلطة بقلم ظفر ولا حازوا من الإصلاح بطائف نصر.[166]

د - العمل السياسي يؤدي إلى الإقرار بحق العلمانيين والشيوعيين:

إن المشاركة السياسية تعني إقرار حرية الرأي في المجتمع بحيث يحق لكل جماعة أن تعبر عن رأيها وتدعوا له دون ضغط أو تقييد. كما أن قبول الإسلاميين بالتعددية السياسية يعني بالضرورة إقرارهم بحق العلمانيين والشيوعيين والليبراليين في الوجود على الساحة السياسية، وفي حقهم في التنافس للوصول إلى مقاعد البرلمان ، هذا الإقرار يتناقض ودعوتهم بدرء مفاسد الشيوعيين والعلمانيين وغيرهم، لأن الإسلاميين بقبلوهم لهذه التعددية السياسية كأنهم وافقوا على وجود مثل تلك الجماعات، وعلى شرعية عملها في الساحة السياسية.[167]

ه - يضم البرلمان نوابا يتطاولون على آيات الله ويستهزؤون بها:

يقول سبحانه وتعالى :" وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ".[168]

166 عبد المالك رمضاني ." لماذا لايلجا اهل السنة في اصلاحهم الى الحل السياسي والحل الدموي ؟"، الاصلاح، العدد الخامس، الجزائر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع .اكتوبر 2007،ص 40 .

167 محمد احمد على مفتي، نقص الجذور الديمقراطية الغربية . الرياض : مكتبة المنتدى ،2001 ص 103 .

168 الآية 140 من سورة النساء.

ووجه الدلالة من الآية : إن البرلمان يضم في عضويته نوابا يتطاولون على آيات الله ويستهزؤون بها، بسبب إختلاف ثقافتهم وانتماء اتهم الحزبية المتعددة، كالحزب اليساري أو الشيوعي والقومي إلى غير ذلك. ودخول المسلم إلى البرلمان وإكتساب عضويته، سيجعله نائبا مثل أولئك يجلس معهم تحت قبته فيصدق فيه قول الله تعالى : "إنكم إذا مثلهم"[169]

و ـ في المشاركة السياسية تجاوزات على الحكام:

إذ إن مشاركة الإسلاميين في الحكم دون أن يتمكنوا من إحداث تغييرات جوهرية ، فيه من المفاسد ما فيه من كتم الحقيقة والتجاوزات. من المفاسد التي تترتب على المشاركة أن بعض الحكام قد يتخذون من يستوزرهم من المسلمين الصالحين زينة يحلون بها حكمهم ، ويدلسون بذلك على السذج والعوام، فيقولون لو كان على الباطل لما قبل فلان مشاركتنا في الحكم، ويزداد الطين بلة عندما يمررون من خلال الوزيرالمسلم القوانين الجائرة الظالمة وبعد أن يحققوا من ورائه أهدافهم ينبذونه نبذة النواة.[170]

ز ـ تعرض العضو للقسم على احترام الدستور الوضعي :

يقال أن كل من وصل إلى الحكم عن طريق العمل السياسي يجب عليه أن يقسم على إحترام القوانين التي تخالف الشريعة، وتعرض العضو إلى القسم على إحترام الدستور وهو من وضع البشر وفيه الكثير مما يتعارض مع شرع الله سبحانه ، كما فيه التلبيس على الأمة بإضفاء الشرعية على مالا شرعية له، ودفعها للإعتقاد بأن فيه الخير لها في الدنيا والآخرة ما لا يوجد في غيره.[171]

169 علي محمد الصلابي .تبصير المؤمنين ب: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم .المنصورة : مكتبة الإيمان . (د.ي.ن) ،ص 90 .
170 عبد الله جاب الله، مرجع سابق، ص 206.
171 المرجع نفسه.

رغم أن النقاش حول هذا الموضوع كان محتدما بين رافض للإنخراط في العمل السياسي وداع له، بين المنتسبين إلى الحركات الإسلامية، إلا أن القاعدة في هذا الإختلاف هي إجتهاذية محضة، راجعة في الأصل إلى أن الشارع لم يحدد لنا نظاما سياسيا محددا. بل تغير نظام الحكم بتطور الدولة، ثم الدول الإسلامية، وقد واكب الإجتهاد هذا التحول في كل حقبة على حدا. من هذا المنطلق وجب ألا يكفر فريق الفريق الآخر أو يسفهه أو يفسقه أو ينكر عليه.

5.2 الجذور التاريخية للحركات المتطرفة:

لقد كان اغتيال قابيل لأخيه هابيل أول نهج للتطرف العنيف في بداية الخليقة، ثم انتهجت الإنسانية هذا الأسلوب للوصول إلى مالا تستطيع الوصول إليه بأساليب أخرى. أما في العالم الإسلامي فمن أهم الحركات التي مارست العنف نجد:

1.5.2 الخوارج:

من المعروف أن ظهور أي حركة خروج أو تمرد على الحاكم تستند إلى أهداف سياسية تتخذ كافة الوسائل المتاحة من أجل تحقيقها. فبعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم توالت الأحداث، وتعاقبت الفتن وظهرت على السطح، فكان الإختلاف على الحكم هو أولى محطات الفتنة، فعلى المستوى التنظيمي يرجع المؤرخون التطرف الديني في العصر الإسلامي إلى حركة الخوارج التي مارست إرهابا منظما، وتاريخ الخوارج حتى أواخر العصر الأموي يساير مبادئه الإعتقادية في التطرف والثورة الصادعة، فقد ثاروا على علي بن أبي طالب وقضّوا مضجعه بإغاراتهم المستمرة على البصرة والكوفة. [172]

ويجمع الباحثون على أن فكر الخوارج هو (الأساس التاريخي لهذا الفكر المنحرف وهذا الإجماع في محله، لأن فكر الخوارج الأول جوهره المغالاة في الدين، والأخذ

172 محمود اسماعيل: الحركات السرية في الإسلام، ط 5 ،مؤسسة الانتشار العربي، 1998م، ص 22.
21-

بظـواهر النصـوص، والتسـاهل فـي تكفيـر المسـلمين المخـالفين لهـم، واعتبـار ديـارهم ديارکفر يجب الهجرة منهـا، والخـروج علـى حكامهـا،[173] فقد كـانت تلك أولـى محطـات الإختلاف والإنقسـام فـي صـف الأمـة الإسـلامية حـول مبـدأ الخلافـة والبيعـة وآليـات انعقادهـا والـذي ترتـب عليـه انقسـامات فقهيـة إزاء تطـبيق الشـريعة فـي أمـور النـاس. أبرزها التنطع في شروط الحاكم، واختلاف العقيدة حول صفات الله سبحانه وتعالى، وتكفير من يخالف قناعتهم، والأهم من ذلك العصبية القبلية.[174] حينهـا بـدأت أولـى بـذور التكفير، فقد كفروا الإمام علي بن أبي طالب، بعد أن انتهى الخلاف إلـى عدم حسم أمر الخلافة، مما دفع الخوارج للقول بأن التحكيم كان جريمة كبيرة وطلبوا من الإمـام علـي بعـد انتهـاء التحكيـم أن يتـوب إلـى الله لأنـه كفـر كمـا كفـروا هـم وتـابوا إلـى الله حسـب زعمهم، وصـار شعارهم لا حكم إلا الله.[175] يتضح أن ذلك الخلاف تفوح منـه المسـاعي السياسية لتلك الفرقة وهم لا يقبلون من الناس إلا الـدخول إلـى عقيـد تهـم أو القتـل، وكـل من يخالفهم الرأي من المسلمين فهوكافر يحـل دمـه.[176] كمـا أصـبحوا فرقـا خارجـة عـن السيطرة تتميز بالبأس والشدة والعنف وانتشر أتباع هذا المذهب في أسـقاع الأرض. [177] ويشمل إسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم...، وعلى هذا فإن الخوارج قد يخرجون فـي كل زمـان وأنهم سيظهرون فـي آخـر الزمـان، كمـا أخـبر النـبي صـلى الله عليه وسلم عن الخوارج الأولين و المتأخرين، قال صلى الله عليه وسلم:

"سيخرج قوم في آخـر الزمـان، أحـداث الأسـنان سـفهاء الأحلام، يقولـون مـن خيـر قـول البريـة لا يجـاوز إيمـانهم حنـاجرهم، يمرقـون مـن الـدين كمـا يمـرق السـهم مـن الرميـة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا"[178]

173 د.محمد مسعود قيراط،الإرهاب البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته، ص 83

174 د.أحمد بن حسين عبد الله الموجان: الإرهاب وروافده اسبابه الفكريـة وعلاجـه، ط 1،سـنا الفـاروق للدراسة والنشر،1425ه، ص 33.

175 د.نبيل علي الرزاقي:أثـر ظـاهرة الارهـاب علـى الامـن القـومي اليمـني ،ط 1،مركـز عبـادي للدراسـات والنشر ، صنعاء، 2010 ، ص 58.

176 د.خالـد عبيـدات: الإرهـاب يسـيطر علـى العـالم، ط 1 ،مركـز عمـان لدراسـات حقـوق الانسـان، عمان، 2006م، ص 18.

177 الموسـوعة الميسرة في الأديـان والمـذاهب والأحـزاب المعاصـرة، دار النـدرة للشـباب الإسـلامي، ط 4.58/1 ،هـ 1420

178 صحيح البخاري،كتاب إستتابة المرتدين، باب 6 ،الحديث 6950 ، فتح الباري، 12/283.

2.5.2 الباطنية:

وهي إحدى الفرق التي تنسب نفسها إلى الإسلام، ولها طريقة معينة في تفسير نصوص القرآن الكريم، بحيث تعتمد على الباطن - بحسب معتقدهم -، ومن عقائدهم أن تفسير نصوص القرآن لا يعطى ولا يفهم، إلا بالمعلومات المأثورة التي يتناقلها الخلق من السلف الثقات، ولا تمنح إلا بالقسم بالحفاظ على الباطن. إنتشرت هذه الحركة في القرن الرابع الهجري بمناطق الأهواز والبحرين وفارس واليمن، حيث كانت هذه الفئات تتحصن بالقلاع والأماكن المنسية، ويدخل في عداد هذه الحركات: القرامطة وهم يسمون بالحشاشين من أتباع الحسن بن الصباح، الذي عاش في أواخر القرن الخامس للهجرة والذي أسس دولة الإسماعيلية في قلعة "الموت".[179] وهي من حيث التشكل جمعية سرية لها نظامها الخاص وقسمها وشعائرها ولها درجات من الوظائف والمعرفة، وكانت أسرارها تحفظ جيدا فلا يعرف منها سوى شظايا متناثرة مضطربة.[180]

وبتتبع سيرة هذه الفرقة نجد أن "الحسن الصباح" قد نظم دعوته تنظيما دقيقا على النحو التالي:

1. سمى نفسه (داعي الدعاة) وهو رئيس الدعوة والرجل الأول.
2. طبقة كبار الدعاة، بحيث تقع مسؤولية كل واحد منهم بأحد أقاليم الدعوة الفاطمية.[181]
3. طبقة الدعاة، وهم الأشخاص الذين تم اختيارهم بعناية وتدربوا بمهارات عالية، وتم توزيعهم ونشرهم على الأقاليم الثلاثة.[182]

179 د.سعد الدين قطب: الإسلام ومناهضة الإرهاب، مجلة آفاق سياسية يصدرها مركز دراسات الشرط الأوسط وأفريقيا، العدد الثاني، الجملد الأول، السنة الأولى، سبتمبر، 2004م، السودان، ص .198 -197 .

180 برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، ط 2 ،مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006م، ص 81.

181 قليم القراف وقوهستان والشام.

182 كان يتم تدريبهم في قلعة (روشباه) وتقع على بعد ستين فرسخا من الشمال من بحر قزوين، وتدعى قلعة "الموت" أوكما يسمونهم الموت.

4. طبقة الرفاق، وهم الصفوة المقربون، الذين يتم إطلاعهم على الأسرار والحفاظ عليها، ولا صحية لهم بنشرها.
5. طبقة اللاصقين، وهم طبقة يتم إطلاعهم على الأسرار، ومن ثم تنفيذ ما يوكل إليهم من مهام.
6. طبقة الفدائيين، هم الشباب المتحمسون المتميزون بالإندفاع، والذين باعوا أنفسهم لداعي الدعاة، والذين يستخدمون لتصفية خصومه.
7. طبقة المستجيبين، وهم عامة الشعب المعتقدين بعقائدهم. وإلى هذه الجماعة يرجع استخدام الإرهاب كبديل للحروب التقليدية وتشير كتب التاريخ إلى أن أفراد الجماعة كانوا يتعاطون الحشيش ثم يرتكبون العديد من الجرائم، ويشيعون الرعب في نفوس الناس بأساليب وحشية. تم القضاء عليها عام 1256م على يد موجات المغول الذين غزوا بغداد واحتلوا بلاد الشام.[183]

وعند التدقيق في الهيكل التنظيمي في هذه الحركة نجده يتشابه إلى حد كبير مع الاستراتيجية التنظيمية للحركات الجهادية المعاصرة مثل "تنظيم القاعدة " وداعش وغيرها من التنظيمات المتطرفة.

183 د.حسن أبو غزال: الحركات الأصولية، الإرهاب، ط 1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص 197

الفصل الثالث

الجذور العقدية و الفكرية للحركات الإسلامية المتطرفة

3 الجذور العقدية لظاهرة التطرف عند الحركات الإسلامية المتطرفة

إن ما تجتمع عليه معظم تلك الحركات و الجماعات المتطرفة هو ليها لأعناق النصوص لمواءمتها لهذا الفكر الرجعي المنغلق على نفسه، و تبرير لجوؤها إلى العنف ضد الآخر الكافر و لو ادعى أنه مسلم. فهم كفروا بادئ الأمر الحكام، ثم عمموا القول بالتكفير على كل أصحاب الكبائر، واستحلوا دماءهم، وأموالهم؛ بسبب جهلهم بمقتضيات نصوص الشرع، واشتباه الأمور عليهم بمحتملات الأدلة، التي ساء فيها فهمهم بعيدين كل البعد عن سماحة الإسلام و انفتاحه على شعوب الأرض ولو لم يكونوا مسلمين، فقد أمرنا أن نبرهم و نحسن إليهم مالم يعلنوا الحرب على الإسلام ومعتنقيه. ولقداعتمدوا في كثير من الأحيان على أيديولوجيات لمنظرين إما أسيئ فهمهم أو أسقط كلامهم على غير مرادهم أو حملت على محمل لا يراعي بعض المعطيات التاريخية لهؤلاء المنظرين التي جعلتهم يكونون أكثر تشددا إلى حد التطرف في بعض الأمور. فإخراج تلك الآيات و المعاني عن إطارها و نسقها التاريخي من أكبر المعضلات التي أسقطت الكثير من الشباب المتحمس، الذي يعاني من ثلاثية الظلم والقهروالجهل، تحت براثن تلك الجماعات التي لم ترقب فيهم إلا و لاذمة، فانتهى بهم الحال إلى قتل أنفسهم وآخرين أبرياء، ذنبهم الوحيد أن طريقهم لاقت طريق هؤلاء. لذلك سوف نقوم بسرد الأسس التأصيلية لقضايا العقيدة والإيمان، وكذا منظومة الآراء العقدية في تطبيق أحكام الشريعة لهذه الحركات الإسلامية.

1.3 الأسس التأصيلية لقضايا العقيدة والايمان

1.1.3 إساءة استعمال النص الديني:

سوف نتكلم عن بعض الموبقات التي تودي بهذه الحركات إلى فهم قاصر للنص الديني و نذكر منها:

- **فساد التأويل:** إن طبيعة سرد النصوص الدينية بمعزل عن مقصدها الإجتماعي والسياسي أدى إلى تناولها كدستور تشريعي مطلق، دون ما فهم وتمسكوا في كثير من الأحيان بجانبها الشكلي. كان يجدر بالمسلمين أن يبنوا أساسهم الثقافي وهم في حالة مواجهة مع الآخر، القوي المسلح بثقافته وتاريخه الخاص وخبرته التاريخية، وكان لهم تراث نصوصي لم يتم تجميعه وتهذيبه كاملا، فكما كانوا يحملون سيوفهم ورياتهم، كان عليهم أن يحملوا كتبهم أيضا، وأن يثبتوا أولوية ما فيها، وكانوا لهذا السبب يحملون السيف والراية باسم ما تحويه هذه الكتب، ففتح للحدود والحصون والقلاع كان يقتضي فتحا من نوع أكثر رقيا وهو الفتح على المستوى الفكري. [184]

فمفهوم الإسلام، يشمل النص ومن ثم الأحكام والفقه المستخرج من النص، والفقه الإسلامي هو نتاج عمل النص مع الأخذ بعين الإعتبار الظرف الزماني والمكاني. فيما يخص إحتكاك النص بالواقع والفقه، فهو مبني على التأويل والتفسير اللذين هما بمثابة المكونات بين يدي النص. أما التأويل فهوصرف الآية إلى معنى تحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة، فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة.[185]

ولقد سلك تأويل وتفسير النصوص محطات بعد وفاة الرسول الكريم، إلى أن وصل إلى نوعية من التفسيرات يتسم معظمها بشيء من الجمود تكاد تستمد قدسية من خلال قدسية النص. فـ "مشكلة الداعية هي أن يتناول معاني النص الذي يؤمن بقدسيته، رغم

أن قدسية النص تعدت هذه المعاني، ويفسرها لمستمعيه الذين يعرفون النص كله أو

184 عبد الهادي عبد الرحمن: سلطة النص، قراءات في توظيف النص الديني، ط 2 ،دار الانتشار العربي، الاسكندرية، 2003م، ص 76.

185 أبو النجيب السهروردي: غوارف المعارف، ط 1 ،دار الكتاب العربي، بيروت، 1966م، ص 25 .

بعضه، ويستمعون إليه كعقيدة جامدة".[186]

وهنا يقع المتلقي في مأزق معرفي كونه يتلقى عن المفسر عقيدة جامدة لا تعتمد العقل فيتحول ما يقرأه أو يستمع إليه إلى "مقولات جاهزة يحكم لها أو عليها، وليس بوصفها موضوعا للتحليل الذي يمارسه العقل الناقد، العقل الذي يمارس العلم وينتجه...، فالمعرفة لا تعني مجرد الحفظ، إنما تعني القدرة العقلية على التحليل، أي هضم المعرفة وتمثيلها"[187] فقد يكون الفقيه حافظا للنصوص والمتون، ولكن ليس كل حافظ يعد فقيها، إذ الفقيه الحق هو الذي يجيد قراءة النص، ويستوعب المقاصد والمعاني، ثم يقوم بتنزيل ذلك النص على الواقع، ومن حصيلة الحفظ والإدراك والتنزيل، يستخلص الحكم الشرعي الذي يحقق مصالح العباد، وهي التي تدون حولها مقاصد الشارع، وتقوم عليها الشريعة.[188] لذا فالجماعات المتطرفة قد يتميز فكرها بالمحدودية والجمود تجاه حركة الزمان المتغيرة، وحضور القطيعة المعرفية الطاغي في فكرهم، وأي تفسير يقف على الطرف الآخر من رؤيتهم، يعد بمثابة الفكر الذي يقف في مواجهة النص القرآني، وفي حال تركوا القطيعة جزئيا فإنهم لا يقرأون في تلك التفاسير تفسيرا. "إنما نقرأ فهم هؤلاء المفسرين للنص القرآني ورؤيتهم الخاصة، وما يلابس هذا الفهم أو الرؤية ويكتنفه، ويختلوا به من تأثر بالأوضاع والحالة النفسية للمفسرين ودرجة ذكائهم ونسبة انتشار أو ذيوع الثقافة".[189]

من كل هذا نفهم أن الإفراط في التشبث والتضخم في الرأي، يولد عنفا ذا خلفية عقائدية. ويستند هذا العنف " إلى تأويلات فاسدة للنص الديني، أي أن قيادات هذه الجماعات تؤول القرآن الكريم تأويلا غير سليم، ومن هنا تكفيرها للمجتمع والدولة وإعلان الحرب ضدها، وهذا الاتجاه نجده في كتابات ودراسات بعض مفكري الإسلام المعاصرين".[190]

---

186 جليزكيبل: التطرف الديني في مصر، الفرعون النبي، ترجمة أحمد خضر، ط 1 ،مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1988م، ص 242.

187 محمد بن علي المحمود: نحن والإرهاب، مقاربات أولية لظاهرة الإرهاب الديني، ط 1 ،مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2010م، ص 239.

188 فهمي هويدي: أزمة الوعي الديني، ط 1 ،دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1988م، ص.122

189 جمال البنا: نحو فقه جديد، www.kotobarabia.com

190 بومدين بوزيد، سلطة الرمز وخطاب العنف، بحث ضمن (الاسلاميون..المسألة السياسية)، الطبعة الاولى ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 203. .

۞ **القراءة الاجتزائية:** القراءة الإجتزائية للنصوص، على طريقة "ويل للمصلين" وبحكم طبيعة التكليف الشرعي للعقل المسلم تعتبر قراءة غريبة عن الجسد الإسلامي. إذ المطلوب هو التعامل مع الواقع الإسلامي ومعالجته بجميع مناحيه، أما اتجاه تلك الجماعات نحو الشاذ من الأقوال واجتثات النصوص واجتزائها أبعدهم عن سلوك الإسلام وجرهم إلى التطرف و العنف. ومما لا شك فيه هو أن ظاهرة العنف "ليست ظاهرة ساذجة أو بسيطة، بل هي ظاهرة مركبة وغامضة، نتيجة وفرة المرجعيات المؤسسة لها، سواء المرجعيات الدينية التي تبارك العنف من أجل تحقيق مكاسب إيمانية ومادية على السواء، أو مرجعيات فلسفية تغذي شهوة السيطرة والتغيير الجذري".[191] ومما لا مبالغة فيه أن الدين الإسلامي قد عانى من تعسف بعض معتنقيه، حيث ضيقوا واختزلوا واجتزءوا النصوص، وقد أرادوا بذلك التحلل من الأحكام الموجودة في النص وضوابطها، ومنح الفرصة لأعداء الدين الإسلامي لإنتاج قراءات مشوهه غير إسلامية عن طبيعة التصور الإسلامي.[192] ويتمادى المغرضون في النيل من الإسلام، فنجدهم يستدلون على هذه الدعوة عادة ببعض الآيات والأحاديث، التي تأمر المسلمين بالجهاد في سبيل الله ويصرون على تصوير حقيقة الإسلام بهذا الواقع عبر أجهزة الإعلام الغربية خاصة، ومن خلال الخبر والرأي والتحليل، وهذا مخالف لحقيقة دين الإسلام.[193]

۞ **الإسقاط الخاطئ للنصوص الشرعية:** من الأخطاء العقدية الشائعة التي يقع فيها المتطرفون هي الإستدلال بأدلة شرعية وإسقاطها في نوازل لا تتوافق مع أسباب نزولها أو الظروف الإجتماعية المرتبطة بالنص الشرعي. فهم يقومون بـ " إستدعاء الحدث التاريخي المقدس ليكون تقديسا لغير المقدس، وهذا جزء من آلية الحشر

191 أ.د.عبد القادر بوعرفة: العنف والعنف المضاد وإشكالية البدائل الإنسانية، ورقة عمل مقدمة ضمن ملتقى "الإسلام في مواجهة العنف" تلمسان، ص 98.
192 د.حسين فوزي النجار: الإسلام والسياسة، د ت ط، مكتبة الاسكندرية، مطبوعات الشعب، ص 273.
193 د.بدر بن ناصر البدر:إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه، المؤتمر العالمي" موقف الإسلام من الإرهاب" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2004م، ص 7.

الأصولي الذي يقيم تعادلا في التصور بين اللحظات المضيئة في التاريخ، وبين مسيرتهم الأيديولوجية ".[194] ويرى أحد الباحثين أن فتاوى ابن تيمية تشكل "مصدرا لاستلهام مقومات التسويغ الشرعي للعنف، فقد تم الإستناد إليها لإضفاء المشروعية على الأفعال الموجهة لأهداف محددة"[195] ذلك أن رواد تلك الفترة أدركوا افتقارهم إلى المرجعية في بعض المناحي، فمارسوا حشرا أصوليا وتعصبوا له، وفي دلالة للرغبة إلى تحقيق سلطة فكرية قاهرة، تم الربط بين الصور القديمة وبين التراث المرجعي، لكي يشكل نسقا عقديا يمثل تطابقا مع معطيات حركتهم المتشددة. ويؤكد ذلك أحد الباحثين قائلا:"الفكر الديني المرتبط بهذا المذهب أو تلك الملة، لم يستطع أن يعطينا صورة شاملة متكاملة عن المصير البشري، لأنه يبقى أسيرا لتأويله الضيق المذهبي، وهذا ما يجعله شديد التمسك بالطقوس، وشديد الحذر من التواصل المنفتح والإيجابي مع الآخر"[196]

لذا فإنه من المهم أن نفرق بين الدين والفكر الديني فـ " الدين مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخيا، في حين أن الفكر الديني هو الإجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها وإستخراج دلالتها، ومن الطبيعي أن تختلف الإجتهادات من عصر إلى عصر، بل من الطبيعي أيضا أن تختلف من بيئة إلى بيئة، واقع تاريخي جغرافي عرقي محدد إلى بيئة في إطار بعينه، وأن تتعدد الإجتهادات بالقدر نفسه من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعينة.[197]

فقراءة النصوص والتراث، في احتكاك دائم ومستمر مع الزمن، الأمر الذي يؤدي إلى نتاج فكري ضمن نسق متكامل يسعى إلى الحيلولة دون ما مصادرة للعقل البشري، الذي يتناول التراث وفق معايير تتحرر من كافة العوائق وتتخطى الفجوات التاريخية، لتجنب الوقوع في مأزق معرفي يقود بالضرورة نحو التطرف.

194 محمد بن علي المحمود: نحن والإرهاب، مقاربات أولية لظاهرة الإرهاب الديني، ط 1 ،مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2010م، ص 220.

195 أمحمد مالكي: أبعاد الإرهاب وكلفته على السلم الاجتماعي والأمن المدني، ص 271

196 د.سهيل فرح : نحو حوار عقلاني بين الحضارات" العالمان المسيحي الإسلامي نموذجان"، ملتقى تلمسان" الإسلام في مواجهة العنف"، 2012م، ص 409 .

197 نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، ط 2 ،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1994م، ص 9 .

2.1.3 المبالغة في استعمال مفهوم الولاء و البراء:

الولاء لغة يقول الراغب الأصفهاني:"الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد". [198] والولاء كمصطلح يتضح أنه باختصار:"هو حب الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونصرة الله تعالى، ونصرة رسوله، ودين الإسلام وأتباعه المسلمين". [199]

لقد قسمت هذه الحركات الناس بناء على مفهوم الولاء والبراء إلى ثلاثة أقسام:

- **الأول:** من يحب محبة خالصة بلا عداء. وهم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، قد وجبت محبتهم محبة عظيمة، وصحابة رسول الله لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق وكافر.
- **الثاني:** من يبغض مطلقا دون موالاة أو محبة، وهم الكفار ومن والاهم من الناس أو الحكام الطواغيت الجبابرة والمستبدين.
- **الثالث:** من يوالى من وجه ويعادى من وجه آخر. وهم فئة المؤمنين العصاة، وقدر محبتهم بقدر إيمانهم ونقضهم بقدر معاصيهم، ويجب الإنكار عليهم ومناصحتهم، وهنا يبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن لزم الأمر التبرؤ منهم.

أما **البراء** لغة فهو: مصدر برئت ، ولأنه مصدر فلا يجمع ولا يثنى ولا يؤنث، فتقول: رجل براء، ورجلان براء، ورجال براء، وإمرأة براء. أما إذا قلت: بريء تجمع، وتثنى، وتؤنث، فتقول للجمع: بريئون وبراء (بكسر الباء)، والمثنى بريئان، وللمؤنث بريئة وبريئات.

198 المفردات في غريب القرآن، 885 ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيدكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

199 د/حاتم بن عارف الشريف: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء،كلية الدعوة، جامعة أم القرى، مكة، www.Alshmilahi.com

وبريء، بمعنى: تنزه وتباعد،[200] فالتباعد عن الشيء ومزايلته هو أحد أصلي معنى هذه الكلمة.

واصطلاحا البراء هو البعد والخلاص والعدوان بعد الإعذار والإنذار.[201]

أما بالنسبة للحركا ت الجهادية فقد استعملت مفهوم الولاء والبراء بطريقة مفرطة تتسم بكثير من المغالاة، أخرجته عن المعنى المعتدل الذي جاء به الإسلام ودعى إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وجعلته بوابة نحو الولوج إلى العنف والتطرف. وشملت بطيفها: الكفار والدول الغازية المحتلة، والأنظمة السياسية التي توالي تلك الدول الكافرة.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

- **الأول:** الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.
- **الثاني:** الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله. [202]

وينادي أبو عاصم المقدسي بالبراء من أعداء الله، وينادي بكفره بهم قائلا: إلى الطواغيت حكاما وأفرادا وقياصرة وفراعنة وملوكا، إلى سادتهم. وعلمائهم المظلين وإلى أوليائهم وجيوشهم وشرطتهم وأجهزة مخابراتهم(...)، إلى جميع هؤلاء نقول: إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله، براء من قوانينكم ومناهجكم ودساتيركم ومبادئكم، براء من حكوماتكم ومحاكمكم، وشعاراتكم وإعلامكم العفن، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء. [203]

ويقع مبدأ البراء في فكرالجماعات الجهادية ضمن المسلّمات التي لا يستقيم لهم شأن إلا به، "في الحكم على الأعيان والأفراد في المجتمع بالإيمان والكفر، وإعتبرت مجرد

200 أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري 282-270: تحقيق عبد السلام هارون، وآخرون، طبعة 197م، الدار المصرية للتأليف والرجمة، تهذيب اللغة للأزهري، 15/269.

201محمد سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام، ط 6 ،دار طيبة، مكة المكرمة، 1413هـ، ص 90.

202 أبو عاصم محمد المقدسي: ملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين، 1431هـ ، منبر التوحيد ص 14 www.Almaqdese.net

203 أبو عاصم المقدسي، المصدر نفسه ، ص 11.

الموافقة والمناصرة والتأييد والمشابهة والمحبة لأنظمة ـ الكفر ـ المختلفة، كفرا مخرجا من الملة، ويترتب عليه اختلاف في مفهوم دار الإسلام ودار الكفر، الأمر الذي يترتب عليه المفاصلة والمباينة والعداء والبغض والقتال". [204]

أما مفهوم **الكفار** عند تلك الجماعات الجهادية فينقسم إلى صنفين:

الأول: المحتلون في حال وجود إحتلال من قبل الكفار الأصليين، أي من غير المسلمين.

والثاني: الكفار المرتدون، وهو وصف يطلق على الأنظمة المسلمة التي لا تطبق حكم الله في الأرض، ومن تحالف من المسلمين مع هذين الصنفين اللذين تجري عليهما أحكامها، ويزول عنهما وصف بالعصمة من الدم والمال.[205]

وكذلك الولاء والبراء عند هذه الجماعات يدور حول قضيتين مهمتين:

- **الأولى:** هي الكفر بالطواغيت التي تعبد من دون الله عزوجل، سواء أكانت هذه الطواغيت أصناما من حجر، أم شمسا أم خمرا، أم قبرا أم شجرا أو تشريعات وقوانين من وضع البشر، فملة إبراهيم دعوة الأنبياء والمرسلين تستلزم إظهار الكفر لهذه المعبودات كلها وإبراء العداوة والبغضاء لها.
- **الثانيـة:** البراءة من المشركين والكفر بهم وإظهار العداوة والبغضاء لهم أنفسهم.[206]

مما سبق قد نصل إلى النتيجة التي مفادها بأن مغالاة هذه الحركات في استعمال مفهوم الولاء والبراء راجع إلى سعيها إلى إقامة "دولة الخلافة الإسلامية الراشدة" والتي من أجل الوصول إليها وإرساء دعائمها، لا بد على كل المسلمين أن ينظموا عملية تطهير واسعة في كل قطر من أقطارهم، ويستأصلون...،من باب الشدة على الكافرين، ويستأصلون هذا الفساد، ويستلمون زمام الحكم في كل قطر، ويعيدون الأمر إلى نصابه.[207]

204مروان شحادة: تحولات الخطاب السلفي، ط 1 ،مروان شحادة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010م.، ص 145

205 مروان شحادة،تحولات الخطاب السلفي، المصدر نفسه ، ص 147.

206 أبو عاصم المقدسي، ملة إبراهيم، مصدر سابق، ص 22-23.

207 سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاقا، ط 4 ،مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م، ص 461 .

لقد جاء عن النبي الكريم في الولاء والبراء أنه قال: " أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل"[208]

لكن هذا المفهوم شابه الكثير من التحريف والفهم الخاطئ لمقتضى النص إذ يقول سبحانه وتعالى: "لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ "[209] . فالإسلام يعتبر غير المسلمين ممن يستحقون القسط و الإحسان وقال في أهل الكتاب "لَيْسُوا سَوَاءً" [210]. وأمرنا بالإنفتاح نحو المزيد من الحوار معهم " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا"[211] وألا نجادلهم إلا بقواعد " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ"[212] وذلك بالحكمة و الموعظة الحسنة " ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " [213].

لأجل كل ماذكرنا نستطيع أن نقول إن مفهوم الولاء و البراء من المفاهيم التي تحتاج أن يُتصدى لها وتبين تبيينا مبسطا يستوعبه المثقف ومن هو دون ذلك، لإصلاح ما أفسدته تلك الشبهات التي جعلت عامة المسلمين لا يعلمون عمن يأخذون دينهم، أمن دعاة البراءة من كل من لا يومن بظاهر النصوص؟ أو من الذين لا يعترفون بعقيدة الولاء والبراء؟ والمطلوب هو التذكير بانفتاح الإسلام على كل الأمم بسماحته و قابليته لإستيعاب غير المسلمين ناهيك عن أولئك الذين هم في الأصل من أهل القبلة.

۞ ۞ ۞

208 رواه الطبراني (11/512)عن ابن عباس رضي الله عنهما.
209 سورة الممتحنة آية 8
210 آل عمران آية 113
211 آل عمران آية 64
212 العنكبوت آية 46
213سورة النحل آية 125

2.3 إعادة إحياء مفهوم الجهاد الهجومي:

لغة، الأصل الإشتقاقي لمادة كلمة "جهاد" يرجع إلى المشقة، فيقال جهدت نفسي وأجهدت، والجهد طاقة... وقال صاحب القاموس: الجهد، الطاقة والمشقة، وجهد جهدك أبلغ غايتك.[214] وقال في مفردات القرآن، والجهاد والمجاهدة، استفراغ الوسع في مدافعة، العدو، وتستعمل هذه الكلمة أعني كلمة: جهاد: بمعناها اللغوي الأعم. [215] والجهاد بمعناه الإصطلاحي، الإعداد الإيماني والتربوي الدعوي لجيل يحمل تعاليم الدين الإسلامي لمن لا يدين به، وفي هذا السياق يورد أحد الباحثين تعريف الجهاد على أنه:"تكنولوجيا الإسلام التي توافر العمل والإنتاج في وقت السلم والمنعة في أوقات العدوان، ولكن ليس يقصد توفر الرخاء الاقتصادي والمنعة السياسية لجنس معين من البشر أو تحقيق تفوق لقوم على بقية الأقوام أو توفير امتياز لطائفة دينية على بقية الطوائف، إنما لغاية أخرى هي تأهيل كتلة بشرية لحمل الإسلام إلى العالم". [216]

1.2.3 الجهاد القتالي في الإسلام :

يقول ابن كثير: "ومن هنا يكون الجهاد سبيلا للدعوة إلى الله، وإيضاح المفاهيم الصحيحة عن التصور الإسلامي للخالق والكون والحياة بصورة سليمة نقية"[217] والجهاد "ليس مقصورا على الحرب أو القتال بل هو أعم وأشمل، لأن مجاهدة العدو شاملة لجميع الميادين وأساليبه التي يستخدمها في تعويق تقدم الدعوة الإسلامية أو في الإعتداء على تقاليد المجتمع، لأن الجهاد دفاع عن عقيدة الإسلام أو الهجوم على دياره ووطنه الآمن، الإسلام والمسلمين...، لأن ذروة سنام الإسلام الجهاد وفيه مصلحة الإسلام والمسلمين المقدمة على الأموركافة.[218]

---

214 مقاييس اللغة 1-286.

215 آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص 32

216 د.ماجد عرسان الكيلاني: إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها،كتاب" الأمة" (30 (الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الدينية، قطر، ط 1 ،ص 52-53 .

217 ابن كثير:الاجتهاد في طلب الجهاد، حققه د.عبد الله عسيلان، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1981م، بيروت، ص 19

218 تفسير ابن كثير، ج 1 ،ص 251-254 ،وج 2 ،ص 309 ،ص 370-372 ،ابن قدامة المقدسي: المقنع، ج 1 ،ص 484 .

وقد عرف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الجهاد بأنه:"هوبذل الجهد، نصرة للحق، ودفعا للظلم، وإقرارا للعدل والسلام والأمن في كل ميادين الحياة".[219]

ولقد قيد هذا الجهاد بضوابط، وأنه لا يجوز إلا في حالتين إستثنائيتين:

۞ **الدفاع عن الوطن** ضد إحتلال الأرض ونهب الثروات وضد الإستعمار الإستيطاني الذي يخرج المسلمين من ديارهم، وضد الذين يظاهرون ويساعدون على الإخراج من الديار، وضد الذين ينقضون عهودهم.

۞ **دفع فتنة المسلمين في دينهم**، وإجبارهم على تغيير عقيدتهم، أو سلب حريتهم في الدعوة السلمية إلى الإسلام".[220]

و بصفة عامة فقد وضع الإسلام ضوابط للجهاد نذكر منها:

- أن يكون خالصا لوجه الله، فلا يجاهد لغرض دنيوي أو هوى شخصي.
- عدم البدء بالقتال قبل تبليغ الدعوة، فإن قبلوا بالإسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فلا يجاهد لغرض دنيوي أو هوى شخصي.
- الإلتزام بالمعاهدات والمواثيق المتفق عليها، حيث أن من الدوافع القوية التي تدفع الجماعات الجهادية للقيام بالجهاد ضد كل من لا يدين بالإسلام ومن يواليهم من الحكام وأفراد المجتمع هو عدم اعترافهم بالمواثيق والمعاهدات والقوانين التشريعية.

كما أن لإعلان الجهاد أسسا وشروطا لخصها شوقي أبو خليل فيما يلي:

۞ إزالة عوائق الحرية العقلية، وحماية" الشخصية الإنسانية من الإنحدار في هوة من الإسفاف، وإتاحة المجال لإبراز خصائصها الخيرة، وتخليصها من شوائب الخرافة والوهم وعبادة المادة واستغلال المستضعفين، لتقرركلمة الله في الأرض وتعلو.

---

219 بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بشأن "الإرهاب"، القاهرة، 15 شعبان 1422هـ الموافق 1 نوفمبر 2001م، ص 101

220 المصدر نفسه.

۞ رد الظلم والبغي والعدوان عن الدين والوطن والأهل والمال والولد، "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ا".[221]

۞ كفاية حرية الدين والإعتقاد.

۞ تأمين طريق الدعوة لدين الله ـ بأمر من الله ـ بإعتبارها رسالة إجتماعية إصلاحية ومنقذة شاملة.

۞ نصرة المظلومين المضطهدين من الشعوب "إِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ[222] بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [223]

أما رأي المذاهب الفقهية حول ماهية الجهاد القتالي، فقد وقع خلاف حول تلك المسألة. حيث " ذهب الجمهور، وهم الحنفية والمالكية والحنابلة، إلى أن علة الجهاد القتالي هي درء الحرابة، وذهب الشافعي في الأظهر من قوليه إلى أن العلة هي الكفر وهو مذهب ابن حزم أيضا"[224] ودليل الجمهور آيات صريحة في كتاب لله تنص على موجب قتال المسلمين لغيرهم إنما هو العدوان الصادر منهم، وهي آيات كثيرة نزلت في سور متفرقة، وأحاديث كثيرة تمنع قتال من لا يواجهون المسلمين بأي عدوان أو من لا يتأتى منهم القتال... فقد نزلت الآيات صريحة الدلالة عن أن علة الجهاد القتالي للكافرين هي الحرابة، وقد تفرق نزولها في آماد مختلفة من العهد المدني...ومن ثم فهي الحجة الأولى لمذهب الجمهور.[225] فالغاية السامية من الجهاد الإسلامي هي " تأمين الدعوة للإسلام وحمل العدو عن الكف عن عدائه للإسلام، والإنتهاء عن موقفه المعادي للدعوة الإسلامية، بالدخول في الإسلام، أو المسالمة أو الخضوع...، أما العدوالذي يحتل جزء ا من أرض الإسلام لا تصح مهادنته، والواجب العمل من

221 سورة الحج: الآية 39

222 سورة الأنفال: الآية 72

223 شوقي أبو خليل: الإسلام في قفص الاتهام، ط 4 ،دار الفكر، دمشق، 1980م، ص 86.بتصرف.

224 محمد البوطي: الجهاد في الإسلام، ط 1 ،دار الفكر المعاصر، بيروت، 1993م، ص 94 .

225 المصدر نفسه.

أجل الإستعداد والأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية ثم الجهاد من أجل إسترداد ما اغتصب من أرض المسلمين " [226]

2.2.3 الجهاد القتالي في فكر الجماعات المتطرفة:

ترى الجماعات الجهادية بأن الجهاد الهجومي هو ضرورة ملحة لكسر شوكة أعداء الإسلام، سواء أكانوا من لا يدين بدين الإسلام أم يكن له العداوة والبغضاء، أم من الحكام المسلمين المتماهين مع الكفار تماهيا سلبيا يضر بهيبة المسلمين، ويضعف من شأنهم، بسبب إستبدالهم لأحكام الكتاب والسنة بقوانين وضعية من فعل البشر. ويرى المجاهدون كما تحلو لهم تسميتهم أن الصراع بين الحق والباطل قائم حتى قيام الساعة، وأن المسلمين يسعون إلى استعادة دولة الخلافة الراشدة، تتقدمهم طليعتهم المجاهدة لتقويض ما بنته الصليبية العالمية طيلة العقود الماضية. وتدور فكرة إحياء الجهاد الهجومي حول ما يسمونها بـ " آية السيف ".[227]

ويرى منظروا هذه الجماعات الذين يبحثون عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت مجرد دفع للعدوان عن المسلمين،بأنهم مهزومون مسلمون بالواقع كسيد قطب مثلا الذي يرى تلك المحاولات بأنها " محاولة تنم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين ولطبيعة الدور الذي جاء به ليقوم على الأرض، كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الإستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي" [228]

أما أبو الأعلى المودودي فيرى أن الإسلام بالأصل هو حركة إنقلابية، والإنقلاب الإسلامي لن يتم "إلا إذا قامت حركة جماهيرية على أساس النظريات والأحكام القرآنية ودعامة السيرة المحمدية والسنة النبوية، وتعمل عبر ـ جهادها المستمر العنيف ـ

226 د.قايد حماد محمد عاشور:الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، ط 1 ،جروس جروب، بيروت، 1995م، ص 43.

227 آية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ..."

228 سيد قطب، في ظلال القرآن، اجمللد الأول، ص 291-292 ،اجمللد الثالث، ص 1432- .1436

علـى تغييـر أسـس الجاهليـة الفكريـة والخلقيـة والنفسـية والثقافيـة السـائدة فـي الحيـاة الإجتماعية"[229]

أما البنا فهو يجيز قتال من بلغه الإسلام ولم يسلم، كما في قوله: "إن الله ليضـاعف أجـر من يقاتلهم، فليس الجهاد للمشركين فقط، ولكن لكل من لم يسلم" [230]

ومـن الملاحـظ أن كـثيرا مـن المفكريـن الإسـلاميين اختلفـت طريقـة تفكيرهـم مـن بعـد الحـرب العالميـة الأولـى، وأصـبح لا فـرق عنـدهم بيـن "الجهـاد الـدفاعي" و"الجهـاد الهجـومي"، بحيـث انتشـرت إسـتنادا علـى فكـرة أن "لا ديـن إلا الله" و "لا حكـم إلا الله"، متجـاوزين بـذلك القواعـد الإسـلامية المتعلقـة بـالحرب. يرى صاحب كتاب" إدارة التوحش" الذي يعد من الكتب المعتمدة، الذي تستند إليه الجهادية عقديا وفكريا، بأن الجهاد فتنة بنص الحديث:" كفى ببارقة السيوف فتنة" بل جعله ماضيا إلى الدين. ولقد أورد دوافع الجهاد ولخصها فيما يلي:

- لدفع فتنة أكبر، بل إن أعظم الفتن وهي الفتنة عن الدين بالسجن والتعذيب لا تدفع إلا بالقتال.
- فتنة القتال، على ما منها من بلاء عظيم، يتخللها من العزة والمشاعرالعظيمة ما يذهب كثيرا من أثرها على النفس، حتى إنها باب لذهاب الهم والغم.
- القتل في سبيل الله وهو أمنية يتمناها الكثير تحت التعذيب، يناله الإنسان بسهولة في الجهاد، فالجهاد يعالج جميع جوانب النفس: النفس عند النصر، النصر عند الهزيمة، والنفس عند العجب، والنفس عند الفتح والعلو، فهو يصوغ الشخصية المتكاملة.[231]

وقد نلاحظ أنه كان للأنظمة الديكتاتورية التي زجت بهؤلاء في غياهب السجون، كما

229 أبو الأعلى المودودي : منهاج الانقلاب الإسلامي، دار السعودية للنشر، 1988م. ص 22.
230 حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام البنا، رسالة الجهاد، النسخة الشرعية ،دار الدعوة ، 1990م، ص.428 -427
231 أبي بكر ناجي:إدارة التوحش، أخطر مرحلة تستمر بها الأمة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، منبر التوحيد والجهاد، ص 87 . www.Altawhed.sw

حدث لسيد قطب مثلا، دور كبير في صقل هذه الرؤية كردة فعل لما عانوه وكابدوه. و قد نجد من دوافهم أيضا تواجد الكفار في الأراضي العربية والإسلامية، وتواطؤ الحكام معهم، وهو ما ذهب إليه صاحب كتاب"الفريضة الغائبة" بأنه "بالنسبة للأقطار الإسلامية، فإن العدو يقيم في ديارهم، بل أصبح العدو يمتلك زمام الأمور، وذلك العدو هم هؤلاء الحكام الذين انتزعوا قيادة المسلمين، ومن هنا فجهادهم فرض عين".

أما عن وجوب جهاد الحكام فلهم فيه ثلاثة دوافع واعتبارات هي:

أولا: إنه جهاد دفع متعين، وهو يقوم على جهاد الطلب، وكونه جهاد دفع لأن هؤلاء الحكام عدو كافر تسلط على بلد المسلمين.

ثانيا: كونهم مرتدين، وقتال المرتد مقدم على قتال الكافر الأصلي.

ثالثا: كونهم الأقرب إلى المسلمين والأشد خطرا وفتنة.[232]

أما سيد قطب فيعتبر جهاد الحكام من أولى أولوياته، إذ أنه لابد من " إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا، وتعبيد الناس الله وحده، وإخراج من للعباد، إلى العبودية لرب العباد! لا يقهرهم على إعتناق عقيدته، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها، والتخلية بين جماهيرها، وهذه العقيدة".[233]

ونجد معظم هذه الحركات التي تتبنى الجهادية تتصدى للأصوات التي تنادي بأولوية الجهاد في فلسطين، فيقولون بـ " أن أساس وجود الإستعمار في بلاد الإسلام هم هؤلاء الحكام، فالبدء بالقضاء على الإستعمار هو عمل غير مجد، وغير مفيد، وماهو إلا مضيعة للوقت، فعلينا أن نركز على قضيتنا الإسلامية، وهي إقامة شرع الله أولا في بلدنا وجعل كلمة الله هي العليا، فلا شك أن ميدان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة، واستبدالها بالنظام الإسلامي الكامل ومن هنا تكون الانطلاقة "[234]

232 محمد عبد السلام فرج: الفريضة الغائبة، منبر التوحيد والجهاد، ص 22 ، www.Altawhed.sw

233 عبد القادر بن عبد العزيز (الاسم الحركي) سيد إمام: رسالة العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله، سلسلة دعوة التوحيد، رقم 3 ،ص 320-321

234 سيد قطب: ثلاث رسائل في الجهاد، ط 2 ،دار عمار، عمان، 1991م، ص 113-114.

وعند تتبعنا لأفكار هذه الجماعات التي تشتغل تحت مظلة الجهاد نجد أن "العنف وسيلة تعتمدها بعض الحركات السياسية الإسلامية لتغيير نظام الحكم، وفرض التطبيق الكامل للشريعة في إطاربناء الدولة الإسلامية، أوإحياء الخلافة، وينطلق أنصار هذا التيار من تكفير الحكام، باعتبار أنهم مغتصبون للشرعية" .[235]

ويرون أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحقيق كل الفروض الشرعية، وأنه "حتمية فرضها الشرع وتمليها طبيعة الدين، تدفع إليها الجاهلية، ويحبكها التاريخ، والجهاد مفروض لخلع الكفار وردع الطوائف التي تساندهم، وهو مفروض كذلك لتنصيب خليفة للمسلمين ولاسترداد ما ضاع من ديار المسلمين، وتخليص الأسرى، إنه السبيل الوحيد لتحقيق كل هذه الفروض الشرعية" [236]

والغريب في الأمر هو أن هذه الحركات تزعم بأنها تنهج منهج السلف الصالح والرعيل الأول من الصحابة والتابعين، ودورهم ينحصر في تصحيح العقيدة الإسلامية، وإرجاعها لمسارها الصحيح، وتعليم العلم الشرعي خالصا لوجه الله، وليس لهم أية مطامع في جاه أو سلطة.

ولتعميم الجهاد على كافة شرائح المجتمع ينادي" سيد إمام" في كتابه الشهير "العمدة في إعداد العدة" قائلا:" فالواجب على المتمسكين بدينهم كسر حاجز العزلة هذا، بإعلام العامة عن طريق الدعوة العامة بفرضية الجهاد، لتتحول قضية الجهاد إلى قضية جميع المسلمين، وليتحول من قضية للخاصة إلى قضية للعامة"[237]

۞ ۞ ۞

235 الإسلاميون: الوزن والاستراتيجيات، أعمال الدورة السابعة، 1994م، سلطنة عمان، ص 88.

236 عمر عبد الرحمن: "ميثاق العمل الإسلامي، المعالم الشرعية والفكرية للجماعة الإسلامية 1، يونيو 1985م، ص 147-149.

237 سيد إمام: العمدة في إعداد العدة..للجهاد في سبيل الله، سلسلة دعوة التوحيد، مصدر سابق، ص 319.

3.2.3 الخلفية العقدية للجماعات الجهادية واستخدام السلاح الرمزي:

سلوك الجماعات الجهادية يتميز بكثير من الإنغلاق الفكري و العقائدي والتعصب للرأي إذ تعتبر نفسها هي الوحيدة التي تمتلك الحقيقة المطلقة. وما عداها فباطل و ضلالة. ويعتبر" تنظيم الجهاد نشأ نشأة مستقلة ومتميزة عن كل الإتجاهات السياسية القائمة في تلك الفترة، فلم يخرج التنظيم من عباءة الإخوان ولكنه كان تنظيما خاصا منذ بدايته"[238] إلا أن هناك من يرى بأن "المجاهدين قد استقوا أفكارهم عن الجهاد من مناهج الإخوان المسلمين وكتابات المودودي وما زال أفراد الحركة الجهادية ينهلون من فكر الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في باكستان، وذلك بعد أن كانت فقط "كتب الإخوان" و منها كتب سيد قطب رحمه الله، وقد ترجمت إلى لغة البشتون في بداية نشوء الحركة الإسلامية في أفغانستان" [239]

فنجد أن هذا الفكر، يختبئ وراء النص ليكتسب الهيبة الدينية، التي تقطع الطريق أمام أي متسائل من أفراد الحركة، وتغذي تلك الروح الانصياعية، ولتطويعها في خدمة نظريته السياسية. فعند التركيز على التكوين العقدي للجماعات الجهادية نجدهم قد "ركزوا دعوتهم على تقديس نماذج الماضي، وركزوا نشاطهم على هدف واحد وهو قيام دولة الإسلام، بإزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر، وعبودية الإنسان للإنسان، وفق تعبير سيد قطب "[240] الذي يعتبرأكثر من ترك تأثيرا على المنتمين إلى التيار الجهادي الإسلامي الذي ينهج العنف المسلح في وقتنا الحاضر، فقد أنتج سيد قطب فكرا إسلاميا متعصبا ومنغلقا على نفسه، شكل مفهوم الجهاد ركيزة أساسية من ركائزه. مما أدى إلى ولادة الكثير من هذه الحركات من رحم حركة الإخوان المسلمين قبل أن تنشق عنها بعد أن تتخذ سبيل العنف، بسبب جنوح الإخوان بعد مراجعات عديدة للعمل السلمي و الغير مسلح.

238 د.محمد مورو: تنظيم الجهاد أفكاره، جذوره، وسياسته، الشركة العربية الدولية للنشر والإعلام،ص .24-23، م 1990

239 نبيه زكريا عبد ربه: عبد رب الرسول سياف قائد الجهاد الأفغاني، دار الضياء، عمان، 1987م، ص.40-31

240 الإسلاميون والسياسة، مرجع سابق، ص 59.

أما فيما يخص **استخدام** هذه الحركات **للسلاح الرمزي**، فالموت كسلاح رمزي تؤمن به وتقدسه وتسعى إليه، مكونات الجماعات الجهادية كمبدأ إيماني، لا يستقيم إيمان المرء إلا بالسعي نحو الوصول إليه. فـ "تحقق هذا الإيمان ـ قولا وعملا واعتقادا ـ يبعث في قلوب المؤمنين شجاعة خارقة للعادة، وحنينا غريبا إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، فقد تمثلوا الآخرة، وتجلت لهم الجنة كأنهم يرونها رأي العين، فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل" [241]

وتحت عنوان"دماء قادتنا تنير الدرب"، يقول أحد المجاهدين:" إن مسيرة جهادنا لا تتأخر بموت أحد ولا بحياته، وإن بقاء القائد في الميدان لا يعجل نصرا ولا يسبب هزيمة بعكس ما يتصوره الأعداء، يظنون أن استشهاد القائد الفلاني يزلزل أركان الجهاد، فما دروا أيضا أن دم الشهيد منارة في عيشنا، ووقود لفتيل عزمنا، وبه تستضيء الأجيال، وتدفع عملية الجهاد إلى الأمام"[242]

لذلك فنلاحظ أنه، وبعكس الجيوش النظامية التي تتأثر سلبا كلما زاد عدد القتلى في صفوفها، خصوصا إذا تعلق الأمر بالجنود الغربيين ونحن نعلم مدى حرصهم على حياة، الحركات الجهادية كلما ازداد عدد الموتى في صفوفها كلما ارتفع مؤشر الإقدام لديها و أعطاها أسبابا إضافية للإستمرار.

3.3 منظومة الآراء العقدية في تطبيق أحكام الشريعة عند الحركات الإسلامية المتطرفة:

1.3.3 التكفير:

ارتبطت ظاهرة التكفير في العالم الإسلامي و على مدى تاريخه باستغلال الدين في المعترك السياسي، وهي العبادة الدينية التي تخفي تحتها نوايا الإقصاء والتهميش السياسي كما هو الشأن بالنسبة للموت بكونه سلاما

241 أبي الحسن علي الحسيني الندوي:ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط 3 ،نشر دار القلم، الكويت، 1982م، ص 104.

242 صالح النبهاني: حركة الشباب المجاهدين في الصومال، مجلة صدى الملاحم، العدد 14 ،ص 10

رمزيا للجماعات الجهادية. حيث أنها نشطت بشكل قوي خصوصا في عصر الإنحطاط و التدهور، حيث ظهر الشقاق جليا بين الفقهاء، وفاحت رائحة المذهبية، واشتد الصراع بين جميع الأطراف، مما أدى إلى التعصب والتكفير، اللذان مازال العالم الإسلامي يجني ثمارهما الخبيثة إلى وقتنا الحاضر.

والتكفير هو: نقيض الإيمان، وأصله في اللغة التستر والتغطية، قال ابن فارس: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو التستر والتغطية. [243] ومن الأمور التي يرمى بسببها بعض المسلمين إخوانهم بالكفر، هو تأويل كلام الله وصرفه عن ظاهرة خطأ واجتهادا، فقد يصدر التأويل من الخطأ بالباطل، وقد يصدر من مجتهد لم يظهر له وجه الحق، فأولو كلام الله وصرفوه عن ظاهره، ولا يحدد الفرق بين هذا وهذا إلا علام الغيوب.[244]

أما الإمام محمد عبده فقد رهن مسألة التكفير بقيود العلاقة بين لفظ الكفر ودلالة المعنى فقال إنه: أصل من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير، و" اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر" [245] أما د.محمد عمارة فقد نقل لنا إجماع علماء الأمة الإسلامية على أن حكم الكفر، إنما يطلق على "المقولة" وليس على"القائل" لهذه المقولة، إذ ربما يكون لديه تأويل حتى ولو كان فاسدا (..) فهذا التأويل ـ حتى الفاسد منه ـ يخرج قائل الكفر، فضلا عن ناقله من عداد الكفار، لأن التأويل الفاسد شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات. [246]

ويقول الإمام ابن القيم:" من الكبائر تكفير من لم يكفره الله ورسوله، وإذا كان النبي قد أمر بقتال الخوارج، وأخبر أنهم شر قتلى تحت أديم السماء وأنهم يمرقون من الإسلام

243 ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج 5 ،ص 191 ،مادة (كفر)، ابن منظور: لسان العرب، ج 5، ص 144 ،مادة (كفر).

244 عبد الرحمن عبد الخالق، الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، مرجع سابق، ص 53.

245 الإمام محمد عبده: الأعمال الكاملة، تحقيق د.محمد عمارة، ج 3 ،طبعة القاهرة، 1993م، ص 302.

246 د.محمد عمارة:الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ بدون طبعة، مكتبة الشروق، بيروت، د ت ط، ص 9.

كما يمرق السهم الدمية، وديتهم تكفير المسلمين بالذنوب، فكيف من كفرهم بالسنة، ومخالفة آراء الرجال لها وتحكيمها والتحاكم إليها"[247]

ويقول الإمام الشوكاني: "إعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفرلا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخرأن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار"[248]

والإمام أبو حامد الغزالي يوصي بـ"أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله ،غير مناقضين لها، فإن التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه"[249] وهناك ضوابط شرعية للتكفير يفصلها د.عبد القادر الشيخلي كالتالي:

- **التكفير حكم شرعي** ولا مجال للعقل فيه، وهو أن يكون التكفير مبنيا على أسس شرعية، وليس تقديرا عقليا ووجهة نظر فكرية.
- اعتبار **توافر شروط التكفير** وانتفاء موانعه للحكم به، وجوب توافر الشروط التي يتحقق بها التكفير.
- **لا تكفير يحتمل الدلالة إلا بعد تبين قصد فاعله،** ولا بد أن يكون الكفر واضحا وصريحا لا لبس فيه، ولا غموض، وليس أن يلجأ المكفرإلى التأويل الخطأ أو التفسير الشخصي.[250]

يقول ابن تيمية: " من جالسني يعلم مني ذلك: أني من أعظم الناس نهيا أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من

247 الإمام ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 4 ،تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م، ص 405

248 الإمام محمد علي الشوكاني: السيل الجرار، ج 4 ،تحقيق محمد إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ص 578.

249 الإمام محمد علي الشوكاني: السيل الجرار، ج 4 ،تحقيق محمد إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ص 578.

250 د.عبد القادر الشيخلي: منهج الوسطية، ص 61-62.

خالفها كان كافرا تارة، وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى، وأني أقدر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية ".[251]

ولقد أعجبني هذا التساؤل الذي جاء به د.محمد عمارة لما قال " كل مؤمن بشيء كافر بنقيضه، أي أن كل إنسان هو في الحقيقة مؤمن وكافر في ذات الوقت، فالكفر ليس سُبَّة ولا نقيصة بإطلاق وتعميم ولكن المعيار هو: كفر بماذا؟ وكذلك الإيمان، ليس ميزة وإيجابية بإطلاق وتعميم، إنما العبرة فيه هي: الإيمان بماذا؟"[252]

فكلمتي الكفر و الإيمان تختلفان بحسب موضعهما في أيديولوجية القائل و ليس لهما معنى نبني عليه حكم الإطلاق.

2.3.3 الكفر البواح:

إن شيوع ظاهرة التكفير دون ضوابط شرعية إنما من شأنه فتح الباب على مصراعيه لإحداث الفوضى وإشاعة الفتنة وصرف المسلمين عن القضايا الأساسية، و إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الجماعات لا تحرص كثيرا بقصد أو بدون قصد على وحدة الأمة. فبالنسبة لهم الحاكم كافر والأمة كافرة وجب قتالهم جميعا من طرف زمرة الفرقة الناجية التي يزعمون أنهم ينتمون إليها، مستعملين في ذلك عبارات و مصطلحات إسلامية يسعون من خلالها إلى حصانة من الإدانة بسبب بشاعة جرائمهم. فالتكفير في فكرة د.حسن حنفي:"هو الموقف الذي لا تهمه وحدة الأمة بقدر ما يهمه الإعلان عن الفرقة الناجية وتدمير الفرقة الضالة، والناجية واحدة، والضالة مجموع الأمة، والناجية هي الوريث الشرعي للخلافة التي بدورها الوريث الشرعي للنبوة، وبالتالي يتهم كل من يخرج عن الصراط بالكفر والفسوق أو العصيان. " [253]

251 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 1 ،ص 229-230.
252 د.محمد عمارة: الإسلام والآخر، مرجع سابق، ص 6.
253 د.حسن حنفي: اليمين واليسار في الفكر الديني، بدون طبعة، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1996م، ص 29.

فنجد د.أيمن الظواهري يستدل بقول العلامة محمود شاكر على صحة قناعاتهم: " إن الأمر في القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح، لا إخفاء فيه ولا مدارة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائنا منكان - في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها"[254]

وهم بذلك يروجون لمفهوم الكفر البواح، ويعملون على " تنزيله على الأنظمة المعاصرة تارة بحجة تعاونها مع الأنظمة الغربية وإعترافها بالإتفاقيات الدولية، وتارة بحجة عدم الحكم بما أنزل الله حسب مفهومها لهذا الحكم "[255] ومما لا شك فيه أن الفكر التكفيري للأنظمة وتجهيل المجتمعات حتما " ينكر على الناس ممارسة حقوقهم السياسية والإجتماعية ويجردهم من أية سلطة بعد أن يرفعها إلى الله من خلال الدولة الدينية التي قطعا لن يحكم فيها سوى البشر "[256] فـ " التكفير ينمو، عندما تصبح رموز التكفير محل تقدير واحترام إجتماعي كبير، وهذه الرموز تستقطب طلائع التكفير، لتأخذ الراية من بعدها، بعد أن تكون قد تشبعت بمقولاتها، بل - وفي أحيان كثيرة - تجاوزها في سياقها التكفيري، وكانت أشد صراحة وأعظم جرأة على التكفير، بل على التنظيم الحركي لتطبيق مقولات التكفير" [257]

والملفت للنظر أن هذا الفكر التكفيري في عصرنا الحالي لم يكن واردا إبان تعاون المجاهدين الأفغان والأمريكيين في الجهاد الأفغاني، ولكنه تبلور في المرحلة الأخيرة بعد أن استعانت بعض الجماعات الأفغانية بالقوات الأمريكية في مواجهة حركة طالبان، وإسقاط سيطرتها على بعض المدن الأفغانية، وامتد هذا المفهوم من أفغانستان إلى العراق بعد الإحتلال الأمريكي له، ومن العراق إلى سوريا ومنه إلى كل الأنظمة العربية التي تتمتع بعلاقات جيدة مع أمريكا.

254 د.أيمن الظواهري: الحوار مع الطواغيت مقبرة الدعوة والدعاة، مطبوعات جماعة الجهاد، النشرة السابعة، شبكة الجهاد العالمية، ص 5-6.
255 جابر زايد، القاعدة في اليمن، مرجع سابق، ص 51.
256 قادري حيدر: تجديد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 30.
257 محمد بن علي المحمود: نحن والإرهاب، مرجع سابق، ص 227.

أما الحركات التي تطلع إلى الوصول إلى الحكم فهي تسعى لإبراز مصطلح الكفر البواح وذلك لتبرير إستعمالها للحديث النبوي الشريف الذي يجيز الخروج على الحكام إذا ما لمست الرعية منهم كفرا بواحا كما جاء في حديث عبادة بن الصامت الذي: "قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ: (فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ" [258]

3.3.3 الكفر بالطاغوت:

يعرف أبو الأعلى المودودي المراد بالطاغوت: " كل فرد أوطائفة أو إدارة تبني وتتمرد على الله، وتجاوز حدود العبودية وتدعي لنفسها الألوهية والربوبية، وقال أيضا: ومعنى الطاغوت في اصطلاح القرآن، كل دولة أو سلطة، وكل إمامة وقيادة تبغي على الله وتتمرد، ثم تنفذ حكمها في أرضه، وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه أو بالإغراء، أو بالتعليم الفاسد. " [259]

ويعرفه أبو محمد المقدسي: الطاغوت الذي يجب عليك أن تكفر به لتتمسك بهذه العروة العظيمة فتنجو، وهو كل معبود عبد من دون الله بأي نوع من أنواع العبادة وهو راض بالعبادة.

ويقول أبو مصعب الزرقاوي: تتنوع أشكال الطاغوت فتارة يكون الطاغوت صنما وتارة قبرا أو إنسانا أو قانونا، ولقد كانوا في الجاهلية الأولى يعبدون الأصنام ويذبحون عندها(...)، وابتلي الناس في هذا العصر بإتخاذهم لونا آخر من الآلهة يعبدونها، وهي طاعة أشخاص تابعوها بالتحريم والتحليل، فيحلون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال، فيشرعون لهم ما يوافق أهواءهم، فمن تابعهم على ذلك اتخذهم أربابا من دون الله. [260]

---

258 البخاري/ 7056

259 أبو الأعلى المودودي: المصطلحات الأربعة في القرآن، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثامنة، دار القلم، الكويت، 1981م، ص 79-101.

260 أبو مصعب الزرقاوي: ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، من إفادة الأسير، أحمد فضيل

وقد وضعوا الكفر بالطاغوت شرطا للإيمان، في هذا السياق يقول أيمن الظواهري: "إن إيمان المرء لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت مع الإيمان بالله، فمن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت، ولم يتبرأ منه لم يصح إيمانه، ويدخل في مسمى الطاغوت، الحكام المرتدون وأنظمتهم الكفرية، وهذه يجب على كل مسلم الكفر بها والبراءة منها لا التفاوض معها، والإعتراف بشرعيتها مما يناقض التوحيد."[261]

وفي موضع آخر يقول: لأتباع ملة إبراهيم عليه السلام يوجب:

- البراءة من الحكام الكافرين وأعوانهم.
- البراءة من قوانينهم الوضعية بما فيها الإشتراكية والديمقراطية وسائر كفرهم.
- إظهارالعداوة لهم وهذا يكون بكشف كفرهم للناس وتسفيه رأيهم ودينهم الكفري، وحض الناس على عداونهم وكراهيتهم، وقتالهم حتى يكون الدين كله الله.[262]

نجدهم يحرمون الإقتداء والتمجيد والتنظيم للطاغوت سواء كانوا حكاما أو نوابا مشروعين أو من أنابوهم عن أنفسهم من الناخبين ووكلوهم في التشريع وهم يعلمون حقيقة هذه الإنابة والتوكل، أو نحوهم ممن تواطئوا وإصطلحوا على دين الديمقراطية واللعبة التشريعية الكفرية أو سوغوها ودعوا إليها وهم يعلمون حقيقتها.[263]

4.3.3 الجاهلية:

لقد عُرف سيد قطب الذي تأثر بالمودودي بفكره الذي ينضح بتكفير المجتمعات وتجهيلها، ولقد حدد معالم للمجتمع المسلم، الذي لن يقوم إلا بتجمع حركي من الطلائع الشبابية(الصفوة) الذين سيتولون إعادة أسلمة المجتمعات من جديد.

نزال الخلايفة سجن سراقة، الأردن، ألقيت أمام المحكمة العسكرية، منبر التوحيد والجهاد، ص 75.

261 أيمن الظواهري: الحوار مع الطواغيت، مقبرة الدعوة الدعاة، من مطبوعات الجهاد، النشرة السابعة، ص 18.

262 المصدر السابق، ص 19.

263 أبو محمد المقدسي: تحفة الأبرار، مصدر سابق، ص 34.

حيث أنه يعتبر أن البشرية برمتها اليوم تعاني من رجعية إلى الجاهلية القديمة، أما الجاهلية الجديدة، ف "تقوم على أساس الإعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية وهي الحاكمية، لأنها تستند إلى حاكمية البشر، فتجعل بعضهم لبعض أربابا، وينشأ بناء على ذلك الإعتداء على سلطان الله في الأرض، والإعتداء على عبادة الله، وتأسيسا على ذلك فلا أنصاف حلول مع الجاهلية، لا من ناحية التصور ولا من ناحية الأوضاع المنبثقة من هذا التصور.[264]

ويعرف "سيد قطب" المجتمع الجاهلي تعريفا موضوعيا حيث يراه " أنه هو مجتمع غير مسلم، وإذا أردنا التحديد الموضوعي، قلنا إنه كمجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الإعتقادي، وفي الشعائر وفي الشرائع القانونية(...)، وبذلك تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا" .[265]

وعن التمييع في نظر سيد قطب فإنه "يتمثل في زرع الوهم في نفوس الشباب و"طلائع البعث الإسلامي"، بأن تحقيق العدالة والتمكين في المجتمع الجاهلي، عاملون من خلال أوضاعه وتشكيلاته، غير منفصلين عنه، ولا مميزين بتجمع حركي مستقل وقيادة إسلامية مستقلة"[266] ويلاحظ أن "سيد قطب" قد أحدث نزعة إنتقالية في تاريخ الفكر الإسلامي، كانت بمثابة النواة التي استند إليها جماعات الجهاد، فالنزعة الإنقلابية التي تحويها أفكاره، تنم عن حقيقة الغرض السياسي السلطوي الذي ينشدونه تحت راية التكفير والتجهيل.

يقول أبو مصعب الزرقاوي: نحن قوم كنا في جاهلية جهلاء، في وقت عطلت فيه أحكام الله المطهرة ونسي كتاب الله جانبا، واستبدل بشرائع شتى من أذهان حثالات البشر، فأصبح المعروف منكرا أو المنكر معروفا، وذلك سببه غياب حكم الله عزوجل الذي فيه السعادة الأبدية.[267]

264 سيد قطب، معالم في الطريق، ص 105.
265 سيد قطب: معالم في الطريق، ط 6 ،دار الشروق، القاهرة، 1979م.، ص 95.
266 سيد قطب: في ظلال القرآن، ط 17 ،دار الشروق، بيروت/القاهرة، 1412هـ .
267 أبو مصعب الزرقاوي: يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، ضمنكتاب حلف الإرهاب، تنظيم القاعدة من عبد الله عزام إلى أيمن الظواهري، 1979م-2003م، ج 4 ،الوثائق العسكرية، مركز

لم يكتفوا بتجهيل المجتمع وتكفيره، بل تعداه الأمر إلى أن المجتمع منقطع الوجود بشكل مطلق. يرى أصحاب هذا الفكر أن العقيدة السليمة -دينية أ و سياسية- لن تتمثل نظريا ولتمثيلها يستوجب وجود تجمع عضوي حركي، ينفصل في نسق انعزالي إعدادي عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي. فينطلق مشروع هذه الحركات بداية بالإعداد والتكوين لتلك الطلائع التي ستواجه التيار الجاهلي، أولى أساليبها للإعداد، عزلهم عن المجتمع، ومن ثم **الإستعلاء** عليها ـ أي الجاهلية ـ ثم التغيير عنفا وتطرفا. و الشاهد في ذلك قولهم أنه " لا بد إذن في منهج الحركة الإسلامية أن نتجرد ـ في فترة الحضانة والتكوين ـ من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها، لا بد أن نرجع إلى النبع الخالص، لا بد من القطيعة مع الجاهلية والإستعلاء عليها ثم تغييرها، حيث يتم التخلص من التصورات الجاهلية والمجتمع الجاهلي."[268] فموقفهم الصلب من العقيدة و المجتمع "يبدأ عادة بـ**العزلة** والمقاطعة المبني على إصدار حكم فردي على المجتمع "بالردة" أو" الكفر" و"العودة إلى الجاهلية"، ثم يتحول من مرحلة التطرف الفكري أو السلوكي هذا إلى استعمال وسيلة العنف مع الغير"[269]

بالإعتماد على كل هذا يتبين لنا تلك النزعة المعبرة عن سيطرة تلك الأيديولوجية على الأمة بواسطة الدين، والهيمنة والسيطرة على الإيمان هيمنة أيديولوجية حركية.

5.3.3 الحاكمية:

إن مصطلح"الحاكمية"من حيث الأصل شأنه شأن كافة المصطلحات التي تحمل في طياتها ألوانا مختلفة من المفاهيم وربما أدى إلى سوء الفهم لبعضها إلى معنى لم يكن موجودا، فالتبس الأمر واتخذ ذريعة على ما لا تحمد عقباه من التمرد على الشرع والخروج عن أحكامه والوقوع في حملات المخالفات الشرعية الممقوتة. [270]

المحروسة للنشر، القاهرة، 2005م، ص 73.

268 سالم البهنساوي: سيد قطب بين العاطفة والموضوعية، ط 1 ،الاسكندرية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1986م، ص 48 ،بتصرف.

269 مجموعة مؤلفين: جذور الإرهاب-الإرهاب- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص 12

270 عادل بن السيد: الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية، ط 1 ،دار الإبانة، القاهرة، 2009م، ص 500.

فقد كانت بداية ظهور مصطلح الحاكمية أو بمعنى (لا حكم إلا الله) في القرن الأول الهجري، وأول من قال بهذه المقولة هم الخوارج - الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بعد قضية التحكيم المعروفة، فخرجت فرقة من جيش الإمام علي وقالوا: " لا حكم إلا الله، لا حاكم إلا الله " فقال الإمام علي رضي الله عنه مقولته الشهيرة إنها : " كلمة حق أريد بها باطل ".

ويعتبر أبوالأعلى المودودي أول من عمل على صياغة فكرة الحاكمية بأنها "نزع جميع سلطات الأمر والتشريع من أيدي البشر، لأن ذلك أمر مختص بالله وحده (...) ولما كانت الديمقراطية السلطة فيها للشعب جميعا، فلا يصح إطلاق كلمة الديموقراطية على نظام الدولة الإسلامية، بل أصدق منها تعبيرا كلمة الحكومة الإلهية"[271]

ويعد "سيد قطب" هو من أعاد إنتاج نظرية "الحاكمية" بصورة أكثر راديكالية، حيث عدها من أخص خصائص الألوهية، فالبشر أمام خيارين فيها، إما كفر وإما إيمان " وإن الإعتبار الأول فيها هو أنها قضية الإقرار بألوهية الله وربوبيته وقوامته على البشر- بلا شريك - أو رفض هذا الإقرار ومن هنا، هي قضية كفر أو إيمان. " و" إن المنهج القرآني يتكئ كثيرا جدا على هذا المبدأ، لتقريره في كل مناسبة، ولا يمل تكراره حيثما جاءت مناسبة أمام كل تشريع، ذلك أن هذا المبدأ هو العقيدة، وهو الدين، وهو الإسلام."[272] فهو يختزل أصول الدين في مبدأ الحاكمية من وجهة نظره ويجعل منها الشغل الشاغل للشريعة الإسلامية، حيث يذكر في كتابه"معالم في الطريق" أن تنزع من المجتمع الصبغة الإسلامية مطلقا، إن العمل بمبدأ الحاكمية، الذي يقر الحتمية الإلهية في حكم المجتمع، وإن لم يعمل به فهو غارق في الجاهلية، وليست الجاهلية عنده جهل بعلم أو معرفة، إنما جاهلية كالجاهلية التي كانت قبل الإسلام. [273]

271 أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام السياسية، مطبوعة ضمن مجموعة عنوا Ěا، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، 1969م، ص 30-34.

272 سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 2 ،ط 17 ، دار الشروق ، بيروت ص 890 .

273 خليل عبد الكريم : الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية، ط 1 ،سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص 70.

وفي هذا السياق يؤكد خليل عبد الكريم أن "الهدف الأوحد لـهذه "الجماعات" هو تصويب البندقية نحو صدور الحكام، وإزاحتهم للحلول محلهم والوثوب على كراسي السلطة، وهو الحلم الذي يداعب جنون أمراء "الجماعات" في اليقظة والمنام، وأن رفع الشعارات الدينية على هذه الجرائم البشعة إنما يقصد تبريرها وتغطيتها وتمريرها لدى العامة والإختباء وراء النصوص الدينية، لقطع الطريق على أي متسائل من العامة حول ممارستهم، كونها تمس العقيدة الإسلامية. "[274]

وفي الوقت الراهن نجد الكثير من المنظرين ذوي الفكر المتطرف يدعون ويشددون على أهمية الحاكمية في كل شؤون الحياة، منهم: أبو محمد عاصم المقدسي حيث يقول: "وبالنسبة لتوحيد الحاكمية، فهو من توحيد الألوهية دون شك، لأنه إذا كان توحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعال العباد أو توحيد الإرادة والقصد، أو توحيد الطلب أو توحيد العبادة، فإن توحيد الحاكمية من ذلك، إذ هو توحيد في الطاعة وفي التشريع أو تجريد الطاعة في الحكم والقضاء له وحده.[275]

وهم بذلك يتعرضون لكُنه الإسلام و فاعليته، فحتى العقل أصبح بالنسبة إليهم طاغوتا يتوقف عند الحكم، وكذلك القوانين الشرعية للدول المسلمة، فعندهم كل شرع غير شرع الله فهو كفر "حرمة الإحتكام إلى أي قانون، أو نظام، أو لائحة، أو عرف عادة، سوى الشرع بل ودلت على أن ما عدا الشرع من قوانين وضعية، إنما هي كفر صريح، لأنها ليست مما أنزل الله، بل هو العقل الذي يشرع، وكل ما يشرعه العقل إنما هو طاغوت أمر الله العباد أن يكفروا به".[276] فنلاحظ مهاجمة العقل عندهم تصدر أحيانا بدافع الرغبة في تخدير الجماهير والإبقاء عليهم في حالة من الغيبوبة يمكن في ظلها استغلال هذه الجماهير وابتزازها بشتى الصور، وهو الذي يهدده دائما أن يستيقظ العقل ويتحرك الإنسان بوعيه الكامل.

274 خليل عبد الكريم : الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية، ط 1 ،سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص 70.

275 أبو محمد عاصم المقدسي، الفرق بين توحيد الحاكمية والألوهية، منبر التوحيد والجهاد، ص 8

276 أ.د.محمد بن عبد الله المسعري: الحاكمية وسيادة الشرع، ط 1 ،لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، السعودية، 2002م، ص 88

ويرى د/محمد عمارة أنهم اشتقوا كلمة "حاكمية" من مصطلح "الحكم" للدلالة على النظام السياسي، في حين أن أغلب الإستخدامات القرآنية لهذا المصطلح واردة بمعنى القضاء والفصل في المنازعات وبمعنى" الكلمة" أي الفقه والعلم والنظر العقلي، ولا علاقة لها بالخلافة أو الإمامة أو ما نسميه نظام الحكم في أدبنا السياسي الحديث"[277] وقد يتخطى أصحاب فكرة الحاكمية تكفير الحكام إلى تكفير العامة، فهم لا يعتمدون إسلام من نطق بالشهادتين، ما لم يدركوا حقيقة مفهومها، وهوتوحيد الألوهية، فنجدهم يعتمدون الإيمان وينفوه عمن لا يطبق الشريعة بالطريقة التي جاءوا بها.

بذلك نجدهم يضعون المجتمع أمام خيارين "إما تطبيق الشريعة، وإما وصمة الكفر والزندقة، وما دام التطبيق لم يتم بالصورة التي يريدونها، فإن كل أولي الأمر والمجتمع معهم"كفار"، ومآلهم جهنم وبئس المصير"[278] فيوقعون الكفر على الحكام بسبب رئاسة أو حكم المجتمع، بغض النظرعن إيمانه القلبي، فبمجرد حكمه للمجتمع يوقعه في دائرة الكفر.

ف" مجرد التشريع من دون الله منازعة الله في الربوبية، ينصب فيها الفاعل نفسه بابا، وإلها وندا من دون الله، وهو طاغوت مشرك كافر وكفره من أبشع أنواع الكفر، بمجرد عمله، بغض النظر عن أحواله القلبية"[279]

يقول المودودي: "ليس لأحد من دون الله شيء من التشريع والمسلمون جميعا، ولو كان بعضه لبعض ظهيرا، لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا، ولا يقدروا أن يغيروا شيئا مما شرع الله لهم."[280] فالإحتكام إلى الحكومات يعدونه إحتكاما إلى شريعة الطاغوت، حيث إن "الطاغوت أعم من الباطل، بل هو أفحش منه بكثير، إذ الطاغوت هاهنا ما قابل الحكم بما أنزل الله، أي هو الحكم بالجاهلية، أي بالكفر"[281] وفي ذلك يقول عبد الله عزام:

277 د.محمد عمارة: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الجديدة، ط 4 ،دار الشروق، القاهرة، 1988م، ص 35.

278 فهمي هويدي: القرآن والسلطان، ط 1 ،الشروق، بيروت، 1981م، ص 104.

279 أ.د.محمد المسعري: الحاكمية وسيادة الشرع، مرجع سابق، ص 92

280 أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام السياسية، بدون طبعة، دار الفكر، (د م ط)، 1967م، ص 29.

281 أ.د.محمد المسعري، الحاكمية، مصدر سابق، ص 89.

" الطاغوت هو الطاغوت...، فالكفر ملة واحدة، والذين يشرعون بغير ما أنزل الله كفار، وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر الدينية، والقانون الذي يحكم به في الأعراض والدماء والأموال هو الذي يحدد هوية الحاكم من حيث الكفر والإيمان. "[282] وللأسف فإن"الأذكياء من أعداء الإسلام لم يحاربوه من كونه حدودا تطبق وقوانين، ولكن سعيهم الحقيقي كان من أجل مسخه كمنهج للحياة وأسلوب للتفكير، كان هدفهم - ولا يزال - تفريغ الإسلام من مضمونه ليبقى شكلا فقط والذين يدعون إلى إحياء هذا الشكل والوقوف عنده، يلتقون بحسن نية وبغير وعي -ربما- مع هؤلاء الذين يريدون تفريغ الإسلام من مضمونه الحقيقي".[283]

لقد تم إختزال فكر هذه الجماعات، في مسألة التوحيد، في تطبيق نظرية الحاكمية، بطريقة تتمسك بظواهر وقشور النصوص، لا لشيء إلا بهدف الوصول إلى الحكم، ولقد برعوا في ذلك إذ نرى الكثير من الشباب حديثي العهد بالتدين أو بالإسلام يستدرجون لهذا الفكر ويومنون به إيمانا أعمى و ذلك لافتقارهم إلى بضاعة معرفية بأصول الدين تجعلهم يستطيعون دفع الشبهات، بل يكتفون بظاهرالنصوص كما يسوغها لهم منظرو هذه التيارات ذات الفكر الشاد المتشدد.

282عبد ا الله عزام : العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ط 1 ،دار البشير، عمان، 2002م، ص 94
283فهمي هويدي، القرآن والسلطان، مرجع سابق، ص 118-119

4.3 الأصولية في فكر الحركات الإسلامية المتطرفة:

1.4.3 التوجه الأصولي الإسلامي:

من المعروف أن الأصولية في أول تجلياتها ظهرت في الغرب، وأول من نادى بها هم الأصوليون المسيحيون، وفي بداية القرن العشرين بدأ يظهر مصطلح الأصولية على بعض الحركات الإسلامية، فقد عرف، بأن بعض تلك الحركات حولت الأصولية من الأصولية الدينية إلى الأصولية السياسية، بأنهم عر فوا الإسلام بأنه دين ودولة، ولا يكتمل الإيمان إلا بقيام الدولة الإسلامية.

يعرف يوسف القرضاوي الأصولية الإسلامية بأنها: تعني العودة إلى الأصول أو الجذور، في فهم الإسلام، والعمل به، والدعوة إليه.[284]

وهناك من يعرف الأصولية، على أنها تلك الحركة التنظيمية، التي تستخدم النصوص حرفيا حينا وتعمل العقل حينا آخر، وصولا إلى قيام الدولة الإسلامية، وفي هذا السياق يعرفها د/رضوان الشيباني بأنها: "حركة ذات تنظيم تؤمن بشمولية الإسلام وتدعوا إلى العودة إلى الأصلين (القرآن والسنة) ودون إعتماد التفسير الحرفي لهما دائما، وتوظف المجهود الفكري للأمة ـ المتمثل في الجهاد ـ في إعادة تشكيل المجتمع وإنشاء دولة إسلامية وفقا لتعاليم الإسلام"[285]

ويقسمها البعض إلى أصولية إيجابية وأصولية سلبية، فالأولى تقدم المصلحة على النص من منطلق الحس التنويري للإسلام، والثانية تدعي إمتلاك جوهر الدين بتقديس النصوص وعدم جرحها. حيث يفسر عبد العزيز البغدادي ذلك قائلا: "إن الأصولية بالمعنى الإيجابي تعني قراءة النص الديني بغرض الإستفادة منه في معالجة القضايا المعاصرة وفهمه بما يحقق المصلحة، وأينما تكون المصلحة فثم شرع الله وإعمال القواعد الأخرى التي تفيد أن الإسلام ليس دينا تعجيزيا بل تنويريا منطلقا نحو الأفضل،

284 د.يوسف القرضاوي: مستقبل الأصولية الإسلامية، ط 3 ،المكتب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 14.
285 د.رضوان الشيباني: الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي، ط 1 ،مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005م، ص 23.

أما الأصولية بالمعنى السلبي فتعني إعتبار النص كما يراه من يفسر مقدسا، وإعتماد المعنى الظاهري الحرفي، وليس الدلالي، وبمفهوم قلة ممن يرعون إمتلاكهم للفهم الصحيح للنص الديني ويدعون أن فهمهم هو جوهر الدين."[286]

ويذكر الشيخ القرضاوي فصائل الأصولية المتعددة، نذكر منها" فصيل العنف"، الذي "يرى استخدام القوة والسلاح في مقاومة ما يعتقده من باطل، وتغيير ما يراه من منكر، والأصل في العنف عند هذا الفصيل أنه موجه ضد "الحكام" الذين لا يحكمون بما أنزل آلله والذين عطلوا أحكام الشريعة الإسلامية" [287]

وجدير بالذكر أن"رياح النفط الخليجي" قد ساهمت في دفع تلك الحركات الأصولية نحو الفاعلية، ماديا ومعنويا، بالعربية السعودية وأمريكا يجمعهما العداء للإشتراكية، وما يظهر، فقد وحدت جهودها نحو القضاء على اليسار العربي. فقد عرف عن الملك فيصل ملك السعودية ـ آنذاك ـ أنه يقدم الدعم المالي بسخاء لحركات المعارضة في أي بلد يتخذ من النظرية الإشتراكية نظاما للحكم، للقضاء على المد الشيوعي.

وبناء على ذلك، فإن تلك الحركات " لقيت رعاية فائقة تحت ذرائع متنوعة، كما توافرت لها سياقات إقليمية ودولية، شجعت أنصارها على التهديد بتدميركل مكتسبات الوحدة المتراكمة منذ عقود"[288]

وتأسيسا على ما سبق، يمكن القول بأن الأصولية المعاصرة، هي مجموعة من المبادئ وضعها منظروها في زمن سابق، حتى صارت منبعا ينهل منه الأصوليون المعاصرون، وحركة عقائدية تستند إلى فكر هو أيضا وضعي بشري ـ رغم عدائها لكل ماهو وضعي ـ حتى إن استندت إلى القرآن والسنة، وبالرغم من محاولاتها استلهام النماذج بنظرة ماضوية وتمثيلها على الواقع، فإن تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح، بل عكسا من ذلك ساهمت بشكل كبير في حدوث شروخ إجتماعية وأسست الأرضية المناسبة للتطرف.

---

286 عمر البغدادي، تعقيب ضمنكتاب (الإسلاميون في اليمن)، ج 2 ،ط 1 ،دار جامعة عدن للطباعة والنشر، المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار، 2001م، ص 233.

287 د.يوسف القرضاوي: مستقبل الأصولية،مرجع سابق ، ص 21

288 أ.د.أحمد مالكي: أبعاد الإرهاب، ضمن ملتقى"الإسلام في مواجهة العنف"، ص 273

2.4.3 الخطاب الأصولي الجهادي:

إن المشكلة في إنحراف مسار الخطاب الديني، تكمن في طبيعة تناولها بطريقة "اللاهوت الديني"، فاللاهوت الذي يجافي الدين وحقائقه، يتم فرز نتائجه على نسق لا يستطيع التماهي مع متحولات الحياة. فـ "الأزمة الفكرية في الواقع العربي الراهن، وعلى مستوى الحركات الإسلامية والأنظمة الإسلامية، هي أزمة تركيب ذهني، غير منهجي وغير معرفي، في تعاطيه مع المرجعية القرآنية من جهة وفي تعاطيه مع الواقع في جهة أخرى، فهي أزمة فكرية ومسلكية بآن واحد". [289]

ولا مبالغة بأن تلك الأزمة ولدت خطابا مشحونا بعقيدة متشددة، أثبتت فشلها في فهم التراث والتعاطي مع الواقع بطريقة ـ إنتقائية إختزالية ـ عملت من خلالها على زيادة صفة العنف على مكونات الخطاب الديني.

هذا الخطاب قد يتغير بتغير موقع تلك الجماعات من الحاكم فعندما يصبح مكتب تلك الحركات منبرا للسلطان والدولة يتم من خلاله تصدير المعرفة، نجد خطابا إصلاحيا، وفي حالة الإقصاء من الدولة فإنها تنتج خطابا ثوريا ومن ثم جهاديا.

وقد إنتقلت على مستوى الإنتاج الفكري من "مسار الحركة الإصلاحية التي إعتمدت الوسائل السلمية في التغيير، إلى تبني الوسائل العنيفة التي تستند إلى مفهوم الجهاد في الإسلام، ففي الوقت الذي ظلت فيه السلفية التقليدية حركة إصلاحية، تحولت السلفية الجهادية من المنهج الإصلاحي إلى المنهج الثوري". [290]

ومما لا شك فيه أن الطبيعة التي تكون منها الخطاب الأصولي، تجمع بين الصبغة الدينية والظروف الإجتماعية والرغبة السلطوية، كأبعاد أساسية ساهمت في صياغة تصورات الأنماط المختلفة من إتجاهات العنف.

289 محمد أبو القاسم حاج حمد: الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، ط 1 ،دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2004م، ص 19 ،بتصرف

290 مروان شحادة، تحولات الخطاب السلفي، الحركات الجهادية حالة دراسية، بيروت الشبكة العربية للأبحاث و النشر، 2010 ص 72

وإذا كانت هذه الجماعات قد أضفت مسوغا دينيا على الأنماط المختلفة من العنف الذي تمارسه، إلا أن ذلك لا يعني أننا بصدد ظاهرة دينية خالصة، فكما أن هذه الجماعات في أفكارها وممارستها، تعبر في أحد جوانبها عن الأزمة الفكرية التي تعاني منها بعض المجتمعات، إلا أن ذلك لا ينفي الأبعاد السياسية والإجتماعية التي كانت وراء ظهور هذه الجماعات، وتشكيل أفكارها وتحديد أسلوب حركتها السياسية.

الجدير بالذكر أن لتعدد الخطاب الأصولي أبعادا كامنة وراء ذلك ، كان أحدها الإنقسامات التي طرأت على جماعة الإخوان المسلمين، الأمر الذي أدى إلى توالد جماعات وإنقسامها في نسق تنظيمي متعدد المرجعية، فيعدد الخطاب بتعدد المرجعية، أما التحول فهو خاضع لعامل الإقصاء والتهميش من قبل الحكومات.

حيث تقوم تلك الجماعات على أفكار معينة، معظمها يدور حول الموقف من السلطة، وكان لهذا الإنقسام أثره في تعدد الخطاب الأصولي الجهادي تبعا لتعدد مرجعياته، بالإستناد إلى مرجعيات قديمة في القرون الماضية، إبن تيمية، وكان ضغط السلطة الحاكمة وأساليب مكافحتها لتلك الجماعات أثره في التحول إلى مرجعيتها الذاتية".[291]

ومن نافلة القول أن تجليات العنف في الخطاب الأصولي الظاهر على الساحة، ولدت من رحم الفهم المنقوص للمقدس، وترعرعت في كنف الحكومات المستبدة أحيانا فـ "الخطاب الإسلامي وما يظهره من عنف وإرهاب تجاه تحقيق ذلك الفهم، لا يرجع إلى المفاهيم الإسلامية ذاتها بقدر ما يرجع إلى سوء فهم تلك الجماعات لإقامة الدين الإسلامي من جهة، وإلى سياسات القمع التي مارستها السلطات ضد هذه الجماعات من جهة أخرى". [292]

291 حسن صادق: الفرق الإسلامية بين الفكر والتطرف، ط 1 ،مكتبة الأسرة، القاهرة، 2002م، ص 170.
292 ناجي الصناعي: الإرهاب رؤية فلسفية، مصدر سابق، ص 91.

الفصل الرابع

كيف نخرج من هذه الدوامة؟

فهو حلول و توصيات ...

1.4 فهم وتحليل:

لن يختلف إثنان من أولي النهى بأن أي مقاربة لمكافحة الإرهاب وإجتثاث التطرف العنيف، تتطلب نهجا شموليا تكامليا، نظرا لتعقد الظاهرة وتشابكها وإرتكازها على جملة من الأسباب والشروط والظروف الموضوعية المتنوعة سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا ونفسيا، فعلى الرغم من تنامي ظاهرة الإرهاب والتطرف وسعة إنتشارها وزيادة خطورتها محليا إقليميا ودوليا، وضعف الإستراتيجيات المطروحة وعدم نجاعتها وفاعليتها بصورة واضحة، إلا أن الأمل يغري بالمضي قدما لمزيد من الإبداع والإبتكار في معالجة الظاهرة والتصدي لها، لكن ذلك يبقى رهنا بمزيد من المعرفة والتفهم لأسبابه العميقة، لكنه سيكون ضربا من العبث أن نكتفي بالتوصيف لظاهرة العنف و التطرف وارتباطهما بأيديولوجية و خطاب الكثير من الحركات الإسلامية، دون طرح تصور يساعد مجتمعاتنا في محاصرة و الحد من هذا الفكر الذي ابتليت به الأمة وهو ينخر أركانها.

وأنا في مقاربتي لم أستعمل لفظة إسلاموية لأني لست بحاجة لتنزيه الإسلام عن ما تقوم به تلك الجماعات ولا أن أنفي عنها صفة الإسلام فأكون بذلك أستعمل نفس الأسلوب الإقصائي الذي نحاربه في فكر تلك الجماعات. فهم نسيج من الأمة إن أخطئ صوبناه و إن بغى علينا قومناه، ولا نحارب فكرا إلا بفكر. ولقد وقع الكثير ممن تصدوا لهذا الفكر المتطرف العنيف في فخ العنف الأمني لما تعلق الأمر بالأنظمة واللفظي والفكري من خلال المنابر الإعلامية و المثقفين وحتى الأكاديميين. قال سبحانه عز من قائل: "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [293] فمواجهة هذا الفكر المتطرف لن يكون إلا من خلال الحجة بالحجة و العلة و البينة.

293 سورة النحل 125

لكن وقبل كل شئ لتقديم الدواء المناسب لهذه الظاهرة علينا فهم طبيعة المرض الذي ألم بالأمة ومدى تمكنه من جسدها، فما حدث في عالمنا العربي يمكن اختصاره في كلمتين، هما: "المرض العضال". فإن كل الإنحباسات والإحتقانات التي تراكمت خلال تجربتنا التاريخية تحولت إلى "أورام عملاقة"، وسواء أكان وراءها خيبات أمل سياسية أو جراحات دينية أو "عسر" ثقافي أو تخلف حضاري، فإنها بفعل الضغط والقهر والظلم وانعدام الأمل، وصلت إلى درجة الإنفجار، وألقت ما بداخلها من دماء وسموم وتقيحات لدرجة أن ما نشاهده اليوم من صور متوحشة تقشعر لها الأبدان ليس إلا نتيجة طبيعية لمرحلة طويلة من التحمل والإنتظار الممتزجين باليأس والإحساس العميق بالظلم، بما يترتب على ذلك من محاولات للخلاص بأي ثمن، حتى ولو كان هذا الثمن هو "الإنتحار". وكحال أي انفجار يحدث في الطبيعة، وجد عالمنا العربي نفسه أمام "كارثة" لم يسبق أن مر بها في تاريخه المعاصر، ووسط الإحساس "بالخيبة" من مآلات الربيع الديموقراطي العربي، وبالصدمة من صور القتل والقمع، خرجت علينا تلك الحركات العنيفة بهذا الشكل المتوحش، وكأنها ترد على سؤال "الإنفجار" الكبير الذي حيرنا، وحين حاولنا أن نفهم توجهنا إلى ثلاثة مجالات لنفهم ما يقع :

أولها مجال **"السياسة"** التي فشلت في بناء الدولة والمجتمع على أساس المواطنة والعدالة والديمقراطية كما فشلت في بناء المجال الحيوي مع العالم والعصر على أساس التفاهم والإحترام.

والمجال **الثاني** هو **"الدين"** الذي تحول على يد بعض الدعاة والفقهاء إلى خادم في ميادين السياسة أو تابع لها، أو إلى سكين بيد المهمشين والمظلومين و"المجانين" وقد ساعدتهم في القبض على روح الدين أحكام فقهية ومقولات دعوية أكل عليها الدهر وشرب ولم يعد لها أساس وجودي في عصرنا.

أما المجال **الثالث** فهو **"التاريخ"** الذي رمينا أنفسنا بقصد أو جهل إلى "مزابله" فانفجر في وجوهنا بكل ما في خزاناته من وقود لصراعات المذاهب والطوائف، ومن فتن المظلومية والحاكمية وقداسة الأشخاص والرموز.

من هنا خرجت فكرة الإرهاب والتطرف في حلة جديدة، وتمثلت في داعش وأمثاله، ولم يكن بحال من الأحوال محضا للصدفة أن هذه الفكرة التي تحولت إلى تنظيمات شرسة، جاءت في سياقيين زمنيين، أحدهما: إنحسار الربيع الديموقراطي العربي حيث إنتهت إحتجاجات الميادين التي حلمت "بالتغيير" ورفعت شعارات الحرية والكرامة والعدالة الإجتماعية، وتحولت في معظم الأقطار العربية التي عايشت التجربة إلى حكم عسكري أو حروب عسكرية.

وكان واضحا أن أدوات الصراع بين الأطراف المختلفة توزعت بين الطائفة والمذهب وإقتسام الوطن، وأن قوى إقليمية تدخلت لتوسيع مناطق نفوذها ومكاسبها، فيما لم تتأخر الدول الكبرى في الدخول على الخط، سواء بشكل مباشر أو إعتمادا على أذرعها في المنطقة.

أما السياق الآخر من المشهد فهو مرور قرن كامل على الحرب العالمية الأولى، وذاكرتنا ما تزال تحمل لهذا التاريخ نوازل حلت بأمتنا (سقوط الخلافة العثمانية، وإصدار وعد بلفور لمنح اليهود دولة في فلسطين، إعادة تقسيم المنطقة العربية من خلال سايكس ـ بيكو..)

أما تطور هذه الحركات المتطرفة العنيفة فنحن في الجيل الثالث من هذه الجماعات، التي خطت شوطا طويلا ابتداء من جماعات التكفير والهجرة إلى القاعدة وصولا إلى عام 2004 الذي شكل فيه أبو مصعب الزرقاوي تنظيم التوحيد والجهاد، لتسمى بعد ذلك بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين. وبعد أن قتل الزرقاوي في عام 2006 تم إنتخاب أبو حمزة المهاجر لقيادة التنظيم حتى 2010 ثم أبو عمر البغدادي الذي شكل دولة العراق الإسلامية. وبعد مقتلهما معاً ظهر أبو بكر البغدادي عام 2010 . هذه البدايات التي شكلت مخاضات لولادة الجيل الجديد من الحركات المتطرفة، التي كانت تتنظر لحظة الإنفجار التاريخي، وقد حدث، وبالتالي فإن إرهاب هذه الحركات المتطرفة هو نتيجة وليس سبباً وبقدر ما يعتمد هذا الإرهاب على ظروف كل مجتمع ويتناسب معها،

فإنه من جهة أخرى يتطابق إلى درجة ما في "توحشه" مع ما فعلته ومازالت تفعله الأنظمة السياسية مع شعوبها، أو بما تركته من "ركام" حين سقطت، أو بما فعلته الصراعات على الهوية من إنفصامات داخل الشخصية العربية، ولنا أن نضيف هنا أن الإرهاب يجد أحياناً تبريره في ذاته، فهو ضد الديموقراطية، وضد أي تجربة إنسانية تستهدف البناء والعمران، لأن فكرة الإرهاب في الأصل تستند على الهدم لا البناء.

وإذا تساءلنا عن ماهية وصول أمتنا العربية لهذا الشكل الجنوني من الحركات التي تعتبرغريبة عن جسد الأمة فليس ضروريا أن نتوفر على حفريات عميقة داخل الذات العربية، وخاصة في المجالين السوسيولوجي والديني، لكي نكتشف الأساطير التي نشأ في أحضانها "الإرهاب" الذي تمثله تلك الجماعات المتطرفة.
فمثلا أسطورة "الدولة" التي لم نفلح حتى الآن في تعريف هويتها وترسيم حدودها، تلك الدولة التي لا تزال مجرد هياكل مفرغة من أية مضامين، هذه الدولة التي تأسس وعينا "العاطفي" على أنها ملك لمواطنيها. إن صورة هذه الدولة في المخيلة الأسطورية ليست كما هي في الواقع.
خذ مثالا آخر أسطورة "التنمية" والديمقراطية والعدالة...الخ، سنكتشف أيضا أن حركة الدولة ومعها حركة المجتمع في الغالب كانت تسير بعكس إتجاه هذه القيم، يكفي أن نعرف بأن في عالمنا العربي 60 مليون أمي، و أكثر من 100 مليون شاب عاطل عن العمل، ولا توجد جامعة عربية واحدة من أوائل 100 جامعة في العالم، لا تسأل بالطبع عن البحث العلمي أو الحريات الإعالمية والأكاديمية وعدد المهجرين العرب في العالم يكفي أيضا أن نطالع تقارير التنمية البشرية التي تصدر سنويا لنعرف ما ولدته " الأساطير" السياسية لدى الإنسان العربي من خيبات أفرزت منه الأسوء وربما ستفرز منه ما هو أقبح إذا ما استمر القمع والفساد والإستبداد على ما هو عليه، وانسدت الأبواب المشروعة أمام "المعتدلين" الباحثين عن فسحة أمل في مستقبل أفضل.

أما الأساطير التي أسست و أثثت لهذه الجماعات في المجال الديني فكانت صادمة أكثر، لا لأن هذه الأساطير تستمد شرعيتها فقط من المرجعية الإسلامية التي تتوهم أنها تنتسب إليها، و إنما أيضا لأنها شكلت منطلقا إنبنى عليه وعينا وثقافتنا وإنبنت عليه أحكامنا التي نصدرها تجاه الذات والآخر، لا لأن فكرة تلك الجماعات تتطابق و موروثنا الديني والثقافي، هذا تعميم يحتاج إلى تدقيق، ولكن لأن هذه الأساطير الدينية التي شذت عن مدوناتنا الفقهية وموروثنا لأسباب لها علاقة بالسلطة وعلاقة الفقيه بالسلطان وبانكسار المجتمع، هي التي استندت إليها تلك الجماعات لتبرير إرهابها وتوحشها وكسب المتعاطفين معها.

خير مثال على ذلك أسطورة الخلافة التي ما تزال تشكل عقدة نفسية لكثير من المسلمين كيف يتم توظيفها لتبرير التوحش والقتل، وتجاوز القيم الإنسانية التي تمثلها الدولة العادلة المنسجمة مع مبادىء الدين، خذ أيضا كمثال أسطورة التكفير التي اختزلت النجاة في "الأنا" وحكمت على الآخر "بالهلاك"، و أسطورة الجهاد الذي اختزل في القتال، و أسطورة تقسيم العالمين إلى فسطاطين على مسطرة الولاء والبراء.

من خلال هذا التشخيص المقتضب يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن تحميل تلك الحركات بمفردها تبعات ما آلت إليه الأمور يعتبر مجاف للصواب، فالمسؤولية منها ما هو نفسي ومنها ماهو سوسيولوجي ومنها ماهوه أيديولوجي. و للحكام و الأنظمة العربية حصة الأسد في إحداث حاضنة شعبية قابلة لممارسة العنف كسبيل أوحد للخروج من هذا النفق المظلم ولو إلى القبر.

فكيف السبيل إذن إلى استئصال هذا المرض الخبيث من جذوره؟ وكيف نقوي مناعة الجسد العربي في المستقبل ليكون حصنا منيعا ضد استفشاء هكذا أفكار؟

2.4 حلول و توصيات

علينا أولا أن نقابل مفهوم التطرف بمفهوم الإعتدال الذي دعى له الإسلام الحنيف. وبما أن هذا الخطاب جزء من الفكر الفلسفي فإنه يتوجه برسالة إلى الإنسانية جمعاء، تتخطى كل الحدود الزمنية والجغرافية والثقافية، تتناول سبل الخروج من دوامة العنف التي تهدد المجتمعات الإنسانية، من خلال فحصها للدوافع والمحركات التي تقف وراء الفكر المتطرف وتؤجج الميل إلى تبني خيار العنف لحل المشاكل، وعودتنا إلى خطاب التسامح لن يكون بغاية التذكير بمعطياته ومضامينه وأفكاره، والدعوة إلى إتباع النموذج الغربي في معالجة القضايا كما يدعي المحافظون والأصوليون كلما واجهوا قيم الحداثة. ومن أجل إرساء جذور التسامح هناك مجموعة من الأمور وجب علينا اتباعها للوصول إلى تلك الغاية ومنها:

- **تحرير المعتقد الديني من كل أشكال السلط والتدخالت،** مع ضرورة احترام الفوارق والحدود القائمة بين المجالين، والحيلولة دون وجود أي خلط أو غموض بينهما، إذ من شأن السماح باستمرار ذلك الخلط وتوفير التربة الخصبة لنمو التطرف الديني من جهة، والإستبداد السياسي من جهة أخرى. فوظيفة الأديان تقتصر على هداية الناس وتعليمهم كيفية الحصول على خلاصهم ونجاة أرواحهم وتجنيبها العذاب الأخروي. أما الدولة فوظيفتها الإهتمام برعاية الحقوق والخيرات المدنية دون التدخل فيما هو روحي. وعلى هذا الأساس فإن أمور الحكم والعمل السياسي لا تخص رجال الدين ولا مؤسساتهم الدينية، كما أن المعرفة بأمور وتعاليم الدين، لا تعطي لصاحبها أفضلية في ممارسة شؤون الحكم التي تقتضي مهارات مختلفة لتدبير ما هو دنيوي.

إن معيار التفاضل داخل العمل السياسي لا يحدده الإيمان الديني ولا التقوى والإلتزام بتعاليم الشريعة الدينية، بل هو الكفاءة والإستحقاق والمهارة وحسن التدبير والتسيير. و إذا اجتمعت هذه الأمور وزاد عليها الورع و التقى فذلك غاية المنى.

۞ إن مواجهة الفكر المتطرف وتجلياته العنيفة والمدمرة (تفجيرات انتحارية، قتل الأبرياء، ترويع الآمنين، تفخيخ وسائل المواصلات، تهجير السكان الأصليين، استباحة الحياة والأعراض والممتلكات...) تقتضي إعادة النظر في طبيعة النظم السياسية القائمة في مجتمعاتنا الإسلامية، وقوانينها من خلال ثلاثة أفكار أساسية:

-أولا: بناء نظم سياسية ديمقراطية تتخلى بموجبها الأنظمة الحاكمة عن مشروعيتها اللاهوتية التي تجعل من حكامها وأمرائها وزعمائها ممثلين للدين ورعاة للشرع وخداما لله؛ فالفعل السياسي الحديث يتأسس على التعاقد السياسي الذي شرطه أن تنبع مشروعية السلطة الحاكمة من الشعب (الأرض) لا عبر كتاب منزل من الله (السماء) عن طريق اتفاق مواطني البلد على اختيار الهيئة السياسية الحاكمة، الشيء الذي يجعل من الحكام مكلفين من قبل الشعب بتدبير الأمور المدنية ومسؤولين عنها أمامه، ومن ثمة نزع القداسة عن السلطة السياسية، وفرض المساواة.

فاعتماد الدولة في مشروعية سلطتها على الدين وما هو إلهي مقدس أمر لا يسمح في أي حال من الأحوال بتأسيس قيم الديمقراطية والحريات والعدالة والمساواة وحقوق الإنسان، بل يكرس التفاوتات الإجتماعية ويحميها ويرعاها (أغنياء، فقراء، مؤمنون، كفار، شرفاء من نسل أرقى، رعية عادية...) وهي مشروعية تجبر الناس على قبول الواقع السياسي بصفته أمرا لا يرتفع ولا يقبل التغيير.

وهنا نتذكر قول الخليفة العباسي "أبو جعفر المنصور" في خطبة له قائلاً: (أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازنه على فيئه، أعمل بمشيئته وأحكم بإرادته وأعطي بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلاً إن شاء فتحني لأعطيكم فيئكم وأرزاقكم، وإن شاء أن يقفلني، أقفلني...)[294]

لما نستمع لهذا الخطاب نستطيع أن نفهم تلك العقلية اللاهوتية التي مازالت تتفشى في أمراء المؤمنين و خدام الحرمين وآيات الله في وقتنا الحالي فهم معينون من طرف الله،

294 محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الطبري، كتاب : تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية- بيروت ط 1 ، 1407هـ

ومـا دام الأمـر كـذلك فكـل مـا يفعلـونه ويقضـون بـه تنفيـذ لمشـيئة الله الـتي لا يحـق لأي شخص الإعتراض عليها، وإلا سيكون كافرا يستوجب قتله أو صلبه أو رجمه لخروجـه عـن مقتضـى مشـيئة الله. ولـذلك فـإن هـذه السياسـات لا تنسـجم نهائيـا ومبـادئ الحداثـة ومقتضياتها ومبادراتها العالمية التي تتسابق النظم الحاكمة في العالم الإسلامي إلى التوقيع عليها وإعلان تأييدها والولاء لها.

- **ثانيا:** إذا أردنـا تأسـيس الديمقراطيـة الحقيقيـة يلـزم ترسـيخ فكـرة المواطنـة، والـتي تتضمن مساواة جميع أفراد المجتمع في الحقوق والفرص والواجبات وأمام القانون، بغض النظر عن إختالفهم الديني والمذهبي واللغوي والطائفي والعرقي والثقافي.

- **ثالثـا:** داخـل الدولـة يجـب أن تكـون السـلطة العليـا للقـوانين، ومهمـا كـانت طبيعـة المعتقـدات والشـعائر الدينيـة الـتي يـؤمن بهـا المواطنـون، فمـن الـواجب السـماح لهـم بممارسـتها علانيـة وبشـكل حـر، طالمـا لا يـؤدي تمتعهـم بهـذا الحـق إلـى إنتهاك القوانين والدستور، أو المس بحقوق وحريات بقية المواطنين ومعتقداتهم.

۞ أمـا مـن **الناحيـة الفكريـة** فعلـى الـدول و الحكومـات تشـجيع المبـادرات السـاعية إلـى الإجتهـاد و القيـام بمراجعـات لنبـذ العنـف كتلـك الـتي قـامت بهـا جمـاعتي : "الجماعـة الإسـلامية" و "الجهـاد" بمصـر و"الجماعـة الليبيـة المقاتلـة" فـي ليبيـا. من خلال مراجعات فكرية شاملة تنبذ إستخدام العنف، وتطرح إجتهادات إسلامية بنـزع الشرعية الدينية عن ممارسة العنف كآلية ووسيلة للتغيير السياسي، وكما تعمل على تفكيك المستندات الدينية الجذرية للعنف عموما، وآلياته وتكتيكاته العسكرية كالعمليات الإنتحارية مثلا.

وكذلك تشجيع المبادرات الفكرية التي تستند إلى تفكيك الأيديولوجية الجهادية العنيفة، وبيان مخالفتها لوسطية الإسلام ونهجه المعتدل، على سبيل المثال المبادرة الأردنية بتشكيل إئتلاف واسع يضم نخبة كبيرة من علماء العالمين العربي والإسلامي للتباحث في وضع أسس ومبادئ إسلامية تناهض التطرف والإنغلاق وتقوم على الحوار والإختلاف.

۞ من جهة أخرى **لا يمكن أن نتكلم عن مواجهة الفكر المتطرف دون أن نتطرق إلى موضوع إعادة إدماج هذا الشباب** الذي غرر به وإعطاءه فرصة جديدة للإندماج في المجتمع.

و تعد تجربة **المناصحة الفكرية** في المملكة العربية السعودية بمثابة أحد النماذج المرجعية لبرامج مكافحة التطرف الفكري على امتداد الإقليم. ونذكر كذلك مبادرات الشيخ الحسن ولد الددو بالتنسيق مع الحكومة الموريتانية، التي قام فيها بمناظرات مع سجناء متطرفين لدفعهم إلى مراجعة مواقفهم اتجاه مفاهيم التطرف.

أما دوليا فقد قامت مبادرات ببلدان أوروبية أبرزها الدانمارك من خلال نموذج **"آرهوس"**، حيث ترتكز هذه المقاربة على التكامل والشمول، من خلال الجمع بين مقاربة الحرب والعدالة الجنائية والإحتواء، ففي الوقت الذي تقوم فيه بيد باعتقال ومحاكمة المقاتلين العائدين الذين تثبت مشاركتهم في الإرهاب، تقدم المساعدة للآخرين وتعمل على تأمين فرص العمل والسكن والتعليم والإرشاد باليد الأخرى، إذ لا ترمي تلك البرامج إلى تغيير العقيدة الإسلامية المحافظة ما دامت غير عنيفة.

وفي ألمانيا، ظهر مشروع مبتكر آخر يعرف باسم مشروع **"حياة"**، وينفذ بالشراكة مع المكتب الإتحادي للهجرة لعمل تقييم فردي للمقاتلين الأجانب العائدين، وعندما يكون ذلك ممكناً، يتم توجيههم من خلال عملية الإرشاد وإعادة الدمج في برلين وألمانيا الشرقية، ويرتكز النموذج المنهجي لمشروع "حياة" على عملية ثلاثية الجوانب لنزع التطرف من شأنها أن تشجع على إعادة دمج تدريجية في المجتمع وهي:

أولا: الجانب العقائدي؛ ويستند إلى نزع الشرعية و إبطال خطاب الجماعات الجهادية وتشجيع المقاتلين الأجانب على التصالح مع ماضيهم.

ثانيا: الجانب العملي؛ ويقوم على مساعدة المقاتلين الأجانب في العثور على عمل أو تعليم أو تدريب، وعلى إيجاد سكن لهم.

ثالثا: الجانب العاطفي؛ ويعتمد على معالجة الإحتياجات العاطفية لكي يجدوا الدعم من قبل عائلاتهم و يجدوا مرجعية إجتماعية بديلة. [295]

ويعتبر المغرب الذي اعتمد **سياسة الدمج وهيكلة الحقل الديني** أحد النماذج الإرشادية في نزع التطرف على المدى البعيد، من خلال توفير بيئة سياسية تقوم على شمولية إدماج الإعتدال، من خلال توفير دمجه السياسي وإعادة هيكلة الحقل الديني.

حيث تم التركيز على التعامل بالسجون مع القيادات الإرهابية القادرة على إستقطاب كوادر جديدة، وعزلها عن بقية النزلاء، وتطبيق برامج التوعية الفكرية، وإعادة تأهيل الكوادر الأصغر سنا والأكثر قابلية لتصحيح عقائدهم والعودة للإندماج في المجتمع. وتتمثل العناصر الأساسية لإستراتيجية المغرب لمكافحة التطرف في إعادة تنظيم الكيانات الدينية للدولة، وقد تضمن هذا البرنامج تعميم نشرة رسمية عن الأئمة، وتأسيس "مديرية التعليم العتيق" في "وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية" وإلغاء مركزية عمليات الوزارة، إلى جانب مراجعة القوانين التي ترعى أماكن العبادة الإسلامية وتشكيل مجلس ديني في أوروبا للجالية المغربية والإستعانة بالمحطات الإذاعية والتلفزيونية للترويج للتعاليم المعتدلة، ومراجعة الكتب والمناهج الدراسية.[296]

- أما على الصعيد الدولي فيجب السعي إلى إنشاء **مراكز تشبيك دولية** من شأنها تكريس الحوار والتدريب والتعاون والبحوث في مجال مكافحة التطرف العنيف بكافة أشكاله ومظاهره، بحيث يجمع الخبراء والخبرات والتجارب من جميع أنحاء العالم، لابتكار حلول وقائية عبر منع الأفراد من الإنحدار في طريق الراديكالية واعتناق مذهب العنف ودعم الإرهاب.

295 تشارلز ليستر، المقاتلون االجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟، معهد بروكنجز، الدوحة، 2015 ،ص 1 ، 34

296 أحمد الشورى، حدود الفاعلية: هل تتمكن دول الإقليم من مكافحة الإرهاب فكرياً؟، المركز الإقليمي للد ارسات الإستراتيجية

۞ **الإبتعاد عن المقاربة الأمنية الصرفة** في التعامل مع هذه الحركات التي نزحت إلى العنف، فمع تنوع الإستراتيجيات نجد أنها حققت في بعض جوانبها عكس المنتظر منها، حيث تسببت في الدفع نحو إمداد المجموعات الجهادية بأتباع ومؤمنين بأفكارها. وذلك في ظل التنوع الكبير الغير محكم تنظيميا في التيار الإسلامي، وتزايد المتضررين من الممارسات الحالية، سواء السياسية أو الأمنية، للأنظمة الحاكمة، حيث يمكنهم فيما بعد أن يتحولوا إلى فاعلين تنظيميين، وهو ما قد يتحول نتيجة السياقات السياسية المحلية والإقليمية إلى موارد مادية، ورمزية للفكرة الجهادية. وكذلك التعامل مع هذه الحركات على أنها كتلة جغرافية يمكن اجتثاثها وتجفيف منابعها عن طريق الحسم العسكري، الشئ الذي ينم عن عدم إدراك لطبيعة عمل وتنظيم تلك الجماعات، فعلى سبيل المثال تنظيم داعش الإرهابي، ومع ضراوة الحملة العالمية التي شنت ضده، إستمراره في الوجود إعلاميا وعملياتيا يجعلنا نستخلص أن

للتنظيم جغرافيتين:

أحدهما "واقعية"، فمع تمركزه جغرافيا في العراق وسوريا، والتي يملك فيها أسلحة ثقيلة متطورة ومتنوعه إلا أنه له سيطرة عملية من خلال "الكوادر/الخلايا " العابرة للحدود التي تدعمه مباشرة وتنال دعمه المادي والمعنوي في المقابل، مما أتاح له التمدد في بعض مناطق من دول أخرى منها جنوب اليمن وليبيا وسيناء والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان.

أما **ثاني** هذه الجغرافيات فهي **"إفتراضية"**، وتتمثل في الكتلة السائلة[297] الداعمة له في مناطق غير خاضعة لسيطرته وقدراته المادية التي تساعده للوصول إليها، ما دفعه إلى التمدد عبر شبكة الإنترنت في أماكن مختلفة من العالم لا يستطيع الوصول إليها بأسلحته مباشرة.

297 وهي تلك العناصر الغير خاضعة إلى تنظيم بل هي كتلة فكرية تتبنى ضرورة تطبيق الجهاد وهي الأقرب إلى الدعم اللوجيستي ألى جماعة حركية، كما أنها بمثابة المرحلة الأولى "النظرية" والتي تسبق "الحركة" التي تسعى من خلالها إلى تفعيل أفكارها من خلال الممارسة العملية لها.

حيث استطاع التنظيم استخدام وسائل التواصل الإجتماعي المختلفة في تجنيد أعضاء جدد،واختراق عقول الشباب في الدول الغربية.

بالإضافة إلى أننا نجد أن التنظيم لا ينطلق فقط من أيديولوجيات وإيمان عميق بنصوص دينية بقدر ما يعتمد بدرجة كبيرة في ممارساته على سياسة "رد الفعل" وإن حرص على إبراز أسانيده الدينية المحكمة لممارساته.

وهذا التمدد، الواقعي والإفتراضي، للتنظيم وتزايد داعميه يعكس أزمة فعلية تعانيها الكتلة الجهادية السائلة التائهة بين أفكارها النظرية وواقع التطبيق المتاح لهذه الأفكار.

وهنا نشير إلى أن المشهد الجهادي عامة يتسم بسمتين:

الأولى: "غياب التنظيم المركزي"، حيث تظل الكتلة السائلة الجهادية هي الكتلة الأكبر عددا، والتي تحاول التماهي مع محيطها وإن ظلت تتمدد ببطء، وبإستراتيجيات معقدة سواء لإختيار المستهدف تجنيدهم أو لإختبارهم فيما بعد. إلا أن هذا لا ينفي أن هناك مجموعات منتظمة ـ هي من تجليات الجهادية السائلة ـ إعتمدت في هيكلها إختيار الشكل العنقودي دون الهرمي ـ لدواعي أمنية ـ حيث ظلت دائما في صورة خلايا صغيرة. بعضها كون تحالفات/تنظيمات في سياقات/أهداف سياسية محددة، بانتهائها ينتهي التنظيم أو يضعف بانسحابات مكوناته.

أما فيما يتعلق **بالحالة التعبوية**، فنحن نعلم أن التطرف الذي نعاني منه ـ في الغالب ـ يتلبس ثوب "الدين" ويتحدث بإسمه، لكن الصحيح أن الدين مجرد باعث أحيانا وغطاء أحيانا أخرى، لهذا فإن دور المؤسسات الفاعلة في المجال الديني مطلوب لترشيد حالة التدين. لكن وبكل أسف وبالتركيز على ممارسات المؤسسات الدينية نجدها "إعلامية" صرفة في كثير من الأحيان تسعى لتبييض وجوه الأنظمة، وهي تستهدف الخارج بدرجة أساسية أكثر منها "عملية" تحقق نتائج على أرض الواقع. ويظهر ذلك جليا في أمرين:

أولهما: **سياسة المؤتمرات** والوثائق، التي تخلو من حوارات فكرية و مناظرات عامة من شأنها الدفع بكل الحركات إلى مراجعات تجعلها تعود عن تبني العنف. أما ثاني هذه الممارسات فتتمثل في اعتمادها على ل، مثل مبادرة " Not in my name" وغيرها من المبادرات.

لكن لما ننظر إلى فعالية أدوار المؤسسات الدينية كالأزهر الشريف في تفكيك خطابات التكفير والجهاد لدى الكتلة الحركية الإسلامية العنيفة سواء الصلبة أو السائلة نجد أن هذه الجهود تظل بعيدة عن إحداث تأثير فعلي خاصة وأن المؤسسات الرسمية تمتلك رصيدا سلبيا في وعي الإسلاميين عامة مما يعرقل أدوارها المنتظرة.

۞ و**من الناحية الأمنية** ضرورة تحديد طبيعة المقاربة أو الإستراتيجية التي يتم إعتمادها، سواء أكانت مقاربة **"الإستئصال"** بالقوة أو بالقانون، وهي تشبه لحد كبير الإسعافات الأولية والعاجلة، أو مقاربة **"الإختراق"** حيث يمكن إستمالة الأقل تطرفا وتوظيفهم لتغيير قناعات الآخرين والتأثير عليهم، أو مقاربة **"تنقية التربة"** وهذه تحتاج إلى نفس طويل ومعالجات، ويمكن هنا إعتماد هذه المقاربات معاً أو على مراحل. لأن أية مقاربة تحتاج إلى الإجابة بشكل دقيق وعلمي على سؤال التطرف من حيث معرفة أسبابه وتشخيص "التربة" التي خر ج منها، وصولا إلى معرفة مناطق انتشاره وعدد المتورطين فيه والمتعاطفين معه، ومن أجل ذلك لابد أن تتوافر لدينا المعلومات والدارسات المتعلقة بالظاهرة، لأن الإستراتيجيات لا تبنى على الإنطباعات والرغبات بل على الوقائع والدراسات والإمكانيات، كما أن الإستراتيجيات ليست فقط عملية توزيع أدوار ومهمات، وإنما تحتاج إلى قواعد تؤسس "للتغيير" في قضايا كبرى (إصالح ديني وتعليمي وسياسي واقتصادي) لا لتزيين الواقع فقط.

والمطلوب عند وضع أية مقاربة مراعاة مسألتين: إحداهما أن تكون نتيجة **لتوافق عام** وبمشاركة كافة الجهات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني، و أن يسهم فيها خبراء يمثلون الحقول المتعددة المتعلقة بالظاهرة، أما المسألة الأخرى فتتعلق بضرورة وجود

الإرادة السياسية لإعطائها المشروعية اللازمة والإمكانيات البشرية والمادية لتنفيذها، والمضامين والوسائل اللازمة لإقناع الجمهور بها، سواء أكان هذا الجمهور من "المتورطين" في التطرف أو المعجبين به أو الذين لديهم قابلية لإنتقال عدواه إليهم، أو حتى المعتدلين الذين يجب أن تترسخ فكرة الإعتدال لديهم.

إن النظر، في إطار أي مقاربة، إلى المتطرفين بإعتبارهم شياطين و إصدار الأحكام ضدهم إستنادا، إلى هذا التوصيف العام، لن يصب في إتجاه مواجهة التطرف. وبهذا لا بد أولا من مواجهة التطرف لا مجرد ملاحقة المتطرفين، كما أنه لا بد من التعامل مع المتطرفين كضحايا أو مرضى بحاجة لعالج، وتصنيفهم بحسب درجة خطورتهم، إضافة إلى "دعم" المحسوبين على خط "الإعتدال" وعدم وضعهم مع المتطرفين في "سلة واحدة."

ثم إنه لا يمكن أن نذكر أية مقاربة ناجحة، دون أن نتكلم على المكانة التي يتبوؤها التعليم في إستئصال التطرف و تجفيف جذوره. وعندما نتكلم عن التعليم فالقصد هنا ثلاثة محاور أساسية وهي : الأسرة، المدرسة والإعلام.

الأسرة كما يسميها اللغويون هي الدرع الحصين، فهي تعد أحد المؤسسات التي يعتمد عليها المجتمع في قيامه وتطوره، لكونها تشكل أولى النظم الإجتماعية التي تضرب بجذورها في حياة المجتمع، فإنها كجماعة وظيفية تحتاج إلى عوامل وظروف تمهد لها القيام بمسؤولياتها دون حدوث أي خلل أو اضطراب. فدورها محوري إلى أقصى الحدود في صناعة رجال ونساء لديهم مناعة قوية تحميهم من ويلات الفكر المتطرف. لهذا يجب أن يكون الرجال والنساء على السواء قادرين على الإجابة على أسئلة أبنائهم حول هويتهم الدينية والسياسية والثقافية. وهذه القدرة بالغة الأهمية حيث أن معظم أفكار الراديكالية الإرهابية تتبلور بين سن الثانية عشرة والعشرين، حين تكون الشخصيات والقيم في صدد التكون. في هذا السياق، من شأن عدم القدرة على مناقشة القضايا الهامة ومعالجتها بشكل صريح أن يحدث فراغا يمكن أن يتم ملؤه بسيناريوهات متطرفة وعنيفة.

والأم التي تعتبر **هي المدرسة الأولى** التي يلتحق بها الطفل، يجب أن تقوم بدورها العظيم في بناء شباب المستقبل لكن كل النساء لسن على نفس المستوى الفكري والتعليمي، لذلك كان لزاما على الدولة تكوين المكون الأول لجيل الغد، وذلك عبر مجموعة من الحملات والبرامج التوعوية لإحاطتهن علما بالمخاطر التي تتربص بمجتمعاتنا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- تكثيف **البرامج التثقيفية والتنويرية** في المجتمعات النسائية .
- إنشاء **خطاب دعوي مناسب** للمجتمعات النسائية، يراعي خصوصيتهن الفقهية.
- تفعيل **مشاركة المرأة في المؤسسات الإجتماعية**، ومحاربة ذلك الفكر الدخيل على أمتنا الذي يدعو إلى تهميشها و مسحها إجتماعيا.
- إنشاء دورات تدريبية مكثفة على أسس **العقيدة الإسلامية الوسطية**، وأسس بناء الشخصية المتوازنة للأطفال، موجهة للمعلمات والمربيات.
- **القضاء على الأمية** الأبجدية بين النساء، وذلك بتعليمهن القراءة والكتابة، والتي تعتبر الخطوة الأولى لرفع المستوى الثقافي للمرأة وزيادة وعيها لتكون فاعلة في بناء المجتمع وتطوره.
- **المشاركة الفعالة للمرأة بالأنشطة الثقافية والفنية**، وذلك بتشجيعها بكتابة الشعر والقصة والمسرحية، وتسهيل نشر نتاجها الأدبي، وإقامة الدراسات النقدية لتطوير وتشجيع المرأة على المشاركة الفاعلة في الأنشطة الفنية كالموسيقى والمسرح والفنون التشكيلية المختلفة كالرسم والنحت والزخرفة بحسب قابليتها.
- قيام الدولة بإصدار **التشريعات لحماية حرية المرأة** وضمان حقوقها المدنية كاملة، وإطلاق طاقاتها الإبداعية وتدافع عن حقوقها ومكانتها الإجتماعية، وحمايتها من العنف والأذى ومن العادات والأعراف العشائرية البالية التي تحط من كرامة المرأة وشخصيتها.
- أن تأخذ منظمات المجتمع المدني وخاصة النسوية منها دورها الحقيقي في **بناء ثقافة المرأة** وزيادة وعيها، وذلك بأنشاء نوادي وجمعيات ومراكز ثقافية تعمل على **تثقيف**

المجتمع وتغيير عقلية أبنائه نحو إحترام المرأة وأهمية دورها في بناء المجتمع وتطوره.

- وضع مناهج تربوية للمدارس بجميع مراحلها وللجامعات، تدعم إحترام المرأة والإعتراف بأهمية دورها **كمربية وكمدرسة** لإعداد جيل واع يعمل على بناء وازدهار الوطن.

لهذا فإننا إذا أردنا أن نكون فعالين في إيجاد حل للمعادلة التربوية علينا أن ندرك حق الإدراك الدور المحوري في هذه المعادلة للمرأة تلك الأم المربية.

أما دور **الأب** فلا يمكن تجاهله، فهو **الضامن للتوازن الأسري** الذي سوف يصنع فيما بعد أفرادا متوازنين، فعلى الآباء أن يخرجوا من ذلك التصور الذي يحصر دورهم في توفير العيش الكريم ماديا للأسرة. و أن **يتقربوا** أكثر فأكثر من أبناءهم كلما تقدم بهم السن ليصلوا إلى إنشاء **علاقة صداقة** و حوار بناء بينهم و بين أولادهم. مما يسمح لهم بسد الباب أمام رفقاء السوء، ومراقبة أنشطة أبناءهم عن كتب. فبناء المنظومة التربوية للأبناء يأخذ شكلا هرميا بناء قاعدته منوط بالأم و قمته يكملها الأب. والأسرة المتوازنة كما قلنا لا يمكن أن تصنع بصفة عامة إلا أشخاصا متوازنين.

أما **المدرسة** فلها دور كبير في **صد الفكر المتطرف** من خلال الترويج إلى **فكر معتدل** أقرب مايكون لتعاليم ديننا السمحاء. كيف يتسنى لنا ذلك ؟ بمجموعة من الإصلاحات للمنظومة التعليمية نلخصها فيما يلي:

- **دور المقررات الدراسية في مواجهة تحديات الفكر المتطرف:**

ـ أن تعمق المقررات الدراسية بالدرجة الأولى مفهوم الولاء للوطن والمواطنة، لبناء مواطن سوي عن طريق تعريفه ما هية حقوقه وواجباته. وعندما نقول المواطنة لا نعني هنا القومية التي تنبني في كثير من الأحيان على المشاعر العنصرية تجاه الآخر.

ـ يجب أن ترسخ المقررات لمفهوم الإختلاف وإحترام أعراف الآخر و معتقداته.

ـ التأكيد دائما على أن الوحدة الوطنية هي الطريق الصحيح لبناء وطن قوي وتعزيزها في نفوس الطلبة. وأن تمزيق الوطن وهدم مقدراته لا يجلب إلا الهلاك.

ـ التأكيد على مفهوم التسامح والمحبة والسلام في المقررات الدراسية لترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الطلبة، كعرض القصص أوالنماذج التاريخية والتركيز في المقررات الدراسية على الشواهد التاريخية والدينية والإجتماعية التي تركز على وحدة أبناء هذه الأمة. والتاريخ الإسلامي زاخر بالقصص و الأمثلة لإسناد هذا النهج.

ـ صياغة المناهج بعقلية منفتحة تتناسب وتكنولوجيا العصر ومتغيراتها و مخاطبة الطالب بحسب هذه العناصر.

ـ التركيز على المفاهيم الأمنية بطريقة تناسب المستوى العمري للطلبة والتأكيد على أن مسؤولية حماية الوطن هي مسؤولية جميع أفراده. وجب على الكل الحرص عليها.

ـ تحديث المناهج الدراسية بصورة دائمة وبحسب مقتضيات العصر لتحصين الطلبة من ظاهرة الإرهاب، العنف والتطرف ا لفكري. الذي يتلون و يتحول آخذا صورا و أفكارا متغيره تستوجب علينا أن نظل متأهبين للتصدي له قبل فوات الأوان.

ـ وضع المناهج الدراسية ضمن منظومة تنموية شاملة للنهوض بالدولة واستراتيجياتها متوافقة في ذلك مع حاجات المجتمع ومتغيراته.

الدور المحوري للمدرس في مواجهة تحديات التطرف:

يتطلع المدرس بدور كبير في تنشأة أجيال من الطلبة، ولكي يكون هذا المدرس أداة فعالة لمحاربة التطرف يجب عليه أن:

ـ يكون مثالا لعدم التعصب الديني والطائفي.

ـ يساعد على غرس مفاهيم أخلاقية وقيم نابعة من الإسلام في نفوس الطلبة كالتسامح والمحبة واحترام الأديان.

ـ يساعد المدرس على تنمية الإتجاهات الفكرية والسلوكية الصحيحة لدى طلبته.

ـ يستخدم الأساليب التدريسية التي تساعد على مشاركة الطلبة في الدرس كاستخدام أسلوب التعليم التعاوني على سبيل المثال.

ـ يستغل بعض البرامج الوثائقية، يوضح من خلالها مخاطر التطرف أثناء إلقاء الدرس.
ـ يحث طلبته على إجراء البحوث التي تشجع فكرة الحوار بين الأديان ونبذ التطرف ودور الطلبة في بناء وطنهم.

دون أن نغفل دور **المربين و المرشدين** التربويين و**الإدارات المدرسية** في تتبع ومراقبة سلوكيات الطلبة وإخطار الآباء في حالة ما لمسوا تحولا غير عادي عند الطالب.

وكذلك الدور الكبير الذي تلعبه الأنشطة الطلابية سواء المدرسية أو الخارجية التي من شأنها أن تقوي أواصر المحبة بين الطلاب، مع إقامة المهرجانات الشعرية والأدبية والفنية التي تفك العزلة عن الطلبة وتنمي الفكر الإجتماعي في مقابل الفكر الإعتزالي.

۞ المحور الثالث هو **الإعلام**، فغالبا ما يستخدم الإعلام أثناء الأزمات لتقديم المعلومات، وشرح الأحداث وتخفيف التوتر وبناء **الوفاق الإجتماعي**، من خلال التشخيص ووضع الإستراتيجيات تنفيذها واستخلاص الدروس والعبر.

أما فيما يخص ظاهرة التطرف فعلى الإعلام لعب دور فعال ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا كان ملتزما بالضوابط التالية:

ـ المصداقية: في إطار حقوق المجتمع وحق الأفراد في الإعلام يجب أن تتسم برامج الإعلام بالمصداقية، وذلك بالتعقل وعدم المبالغة في سرد الأحداث والموضوعية والحياد في تغطيتها.

ـ التوازن: حيث يجب عليها تغطية الأحداث بتوازن غير مخل بالمهنية الإعلامية بعيدا عن الإثارة، والعلم بأن التجاهل التام أو ما يعرف بالتعتيم المتعمد أمر ليس عمليا ولا حتى مرغوب فيه... والحل هو التغطية الموضوعية المتوازنة.

ـ مسؤولية الإعلام تجاه المجتمع: إذ أن أحد الأهداف المحددة للخدمة الإعلامية ـ لوسائل الإعلام ـ هو مواجهة الشائعات التي لا أساس لها من الصحة، والتي يتداولها

النـاس غالبـا عـبر منصـات التواصـل الإجتمـاعي ، ولهـا أهميـة بالغـة فـي التنسـيق والمشاركة في إعداد خطط المواجهة الإعلامية، وتفعيل هذه المشاركة من خلال آليات الإعلام التي تخدم هذا التنسيق.

ويختلف الدور الإعلامي باختلاف قنوات إذاعته:

فا**لصحافة** التي تعتبر أقدم وأهم وسائل الإعلام الجماهيري تأثيرا سواء تعلق الأمر في الأفراد أوالمجتمعات. ولا يزال لها تأثير بالغ في نفوس الجماهير فهي الأداة الشعبية الناجحة لتوجيهها والتأثير في انطباعاتها.

لكي يكون لها دور فاعل في نشر الوعي بين مكونات المجتمع، يتعين عليها ألا تجري وراء أهواء القراء وجذب مشاعرهم، لتحقيق رواج مصطنع ولوعلى حساب رسالتها السامية. وكذلك ألا تخضع لمذاهب سياسية لأحزاب بعينها فلا تنشر إلا ما يتفق مع آراء الحزب ومعتقداته.

أما **الإذاعة** فهي تلك الوسيلة الإعلامية التي تمتاز بالحيوية و تنبض في الصوت الإنساني ولا تتطلب من المستمع أي قدر من التعليم كالقراءة والكتابة، مثلا، التي لا يتطلبها الإستماع الإذاعي. وتتميز الكلمة المسموعة بالأثر القومي في الإيحاء، كما أنها تمتاز بسرعة نقل الحدث والإثارة والتخيل، وقربها لمتناول أيدي جميع الفئات والطبقات الإجتماعية. لأجل ذلك كان من الضروري و المؤكد الإتكال على هذا النوع من القنوات الإعلامية في نشر الوعي وقيم الإعتدال بين المواطنين.

ويتميز **التلفزيون** عن سابقيه بأهمية بالغة بين وسائل الإعلام الجماهيري، لكونه ينقل الصوت و الصورة، فضلا عن أنه يخاطب الأميين والمتعلمين على اختلاف مستوياتهم الطبقية والثقافية والتعليمية.

لذا يعتبر التليفزيون وسيلة إعلامية بعيدة التأثير في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو يمارس وظائف الإعلام الأربع من نشر للأخبار وعرض وتحليل لها وتعليم وتثقيف وتسلية وإمتاع. لذلك أصبح للتليفزيون قدرة كبيرة على استهواء المشاهد والتأثير فيه.

ومن مميزاته أنه يقدم للجماهير الأخبار من أماكن وقوعها وفور وقوعها باستخدام الأقمار الصناعية. وأنه يصل إلى قطاعات عريضة من الجمهور في وقت واحد ويخاطب المثقف وغير المثقف. فهو بذلك يلعب دورا بارزا في تكوين الرأي العام وبلورته.

لذلك فإننا إن أحسنا استعماله فإنه سيكون له وقع كبير في توعية الشعوب خصوصا الفئات الأكثر هشاشة وقد ندخل الشباب في هذه الفئة كذلك، ومحاربة تلك الأفكار الهدامة.

ونختم بـ**الإنترنت** التي جلبت على الكثير من الشباب الويلات إذ وجدو أنفسهم أمام سيل جارف من المعلومات دونما وسيلة ناجعة لمعرفة مصادر تلك المعلومات أو مدى مصداقيتها. ولقد أحدث ظهور الإنترنت تحولات جوهرية في طبيعة الإتصال الإنساني الجماهيري لدرجة أصبحت معها بحوث الإتصال الجماهيري عامة وبحوث التأثيرات الإجتماعية خاصة في حاجة إلى مراجعات شاملة لتفي بمتطلبات هذه التحولات، حيث يرى معظم الباحثين أن العلاقات الإجتماعية بين الأفراد أخذت شكلا آخر عما كانت عليه من قبل، وذلك بسبب ظهور مستجدين تكنولوجيين هما "الإنترنت والهاتف المحمول". ما خلق نوعا جديدا من الإتصال بين طرفي العملية الإتصالية لا يقوم على الإتصال الشخصي المباشر أو الجماهيري ما سمي ب**"الاتصال الوسيط"** [298] .

ومن أبرز سمات الإنترنت كوسيط اتصالي هي سمة **التفاعلية،** حيث أنها ساعدت على تحقيق التزامن والحالية في رجع الصدى من خلال بعض أدواتها الإتصالية. ويطلق على هذا النوع من الإتصال اسم **"الإتصال المتزامن"**[299] وفي هذا السياق يجب على الأنظمة الأمنية تطوير قدراتها في ميدان الجريمة الإلكترونية حيث أنه هناك

---

298 Jonathan Taylor, P.R. Smith, **Marketing communication** ,3th .d, (Hogan, 2003) p. 196

299 M. Rubin, Zizi Papacharissi, predictors of internet use**, Journal of Broadcasting & Electronic media** (Vol. 44, No.2, 2000) p.175.

إرهاصات تشي بأن العمليات المستقبلية في ميدان الإرهاب العالمي ستعتمد على الهجمات الإلكترونية واسعة النطاق لشل المنشآت والمرافق الحيوية للدول. بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه منصات التواصل الإجتماعي في تجييش الشباب ونشر للفكر المتطرف لتلك الجماعات التي فهمت الدور المحوري لهذه المنصات فغدت تستعملها بشكل احترافي معتمدة على مضامين مصورة بطرق هوليودية.

مما يضع الأجهزة الأمنية تحت المحك ويلزمها بأن تطور طرق التعامل ـ التي كانت في مجملها تأخذ طابعا تقليديا ـ مع تلك المنظمات. بالمزيد من الموارد المادية و البشرية وتكوين مستمر للأطر، والترويج لخطاب معتدل يخاطب عقول الشباب بلغة يفهمونها. هذه بعض المقادير التي يمكن من خلالها النجاح في هذا التحدي الذي يتلون و يتطور و يواكب مستجدات عصره.

لكننا نقول ونذكر بأنه ليس لأحد وصفة سحرية من شأنها أن تقضي على هذه الظاهرة متعددة المشارب، لكن بوجود الرغبة السياسية و المساندة الشعبية و الموارد اللازمة، إن لم نستطع القضاء على هذه المعضلة في المستقبل القريب فعلى الأقل سوف نحد من انتشارها و نحجمها.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبذكره تتنزل الرحمات وبشكره تزيد الخيرات والصلاة والسلام على فخر الكائنات وسيد السادات الرسول الأمين عالي المقامات. نحمده تعالى أن يسر لنا كتابة هذا العمل المتواضع الذي أسأله سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه وأن ينفع به و أن يجلي به بعضا من تلك الإختلاطات التي استقرت في قرارات الناس عن تلك الحركات و الجماعات. صحيحها من عليلها ورد على بعض الشبهات. و نعوذ به من الأخطاء التي قد نقع فيها و الزلات. فله ا لعلم كله وله الغيب و الشهادات. ما كتبت إلا تصورا لما وصل إليه علمي، أقبل ما سيأتي على أثره من إنتقادات. فلا هو بقول رسول كريم ولا هو بآيات. بل عمل متواضع نسأل الله عليه الأجر و الحسنات. فما به من حق فهو توفيق من الله مقيل العثرات، وما به من زلة فهو محض من نفسي والشيطان فمعذرة إلى رب السماوات . أقول قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم و أسألكم صالح الدعوات.

العبد الراجي لرحمة ربه

عادل بن غزيل